مجالات إعداد الدعاة إلى الله – تعالى – "دراسة تحليلية"

إعداد: د. محمد بن سعد بقنه الشهراني

أستاذ مساعد في الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . **أما بعد:**

فإنّ من دواعي فخرنا واعتزازنا نحن –المسلمين– أن ننتسب إلى هذا الدين العظيم "الإسلام"، ولكن الواقع يشهد أنَّ هناك تقصيراً ظاهراً في واحدة من أعظم مقوماته، وهي الدعوة إليه، والتي تعد بمثابة القوة التي تملأ قلوب المسلمين إيماناً وتؤلِّف بينهم، وهي العروة الوثقى التي يأمل الدعاة أن تكون طريقهم لجنات الخلد.

ولا شك أنَّ فضل الدعوة إلى الله – تعالى– لا يجهله عالم بكتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فالداعية إلى الله هو المبلغ عن الله وعن رسوله – صلى الله عليه وسلم–، وهو القائم بالفرض الكفائي الذي فرضه الله – تعالى– على عباده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير. وتأهيل الدعاة إلى الله – تعالى– وإعدادهم لمواجهة التداعيات المعاصرة والتحديات المتجددة، يعتبر من الموضوعات المهمة؛ لتجدده بتجدد النوازل الدعوية، أو الوسائل والأساليب العصرية،

أو عقليات المدعوين من زمن لآخر، ومع وجود كتابات متميزة في هذا الموضوع إلاَّ إنَّ الحديث عن المجالات التي ينبغي إعداد الدعاة عليها والتركيز باهتمام إليها يحتاج إلى تدقيق وتحليل.

وإني لأرجو أن يكون هذا البحث لبنةً من لبنات ما قدَّمه العلماء الأجلاء في موضوع إعداد الدعاة إلى الله- تعالى- ، كما آمل أن يكون سبباً في نشر الدعوة إليه -سبحانه-، وفق منهج رسوله - صلى الله عليه وسلم-، وقد جاء بعنوان: مجالات إعداد الدعاة إلى الله - تعالى-: دراسة تحليلية .

راجياً من الله - تعالى- أن ينفع به، وأن يتقبله- عز وجل-

أهمية الموضوع :

لا شكَّ أنَّ من أهمِّ أركان الدعوة إلى الله - تعالى- هو الداعية المبلغ لموضوع الدعوة، والمواجه للمستهدفين بهذه الدعوة وهم المدعوون، ولقد عانى واقع الدعوة من بعض الدعاة الذين هم- مع حرصهم وصدقهم في الدعوة- بحاجة إلى إعادة تأهيل وإعداد في بعض المجالات المهمة والتي تؤثر في خطابهم وفقههم الدعوي، أو مواصلة دعوتهم وعدم انقطاعهم عنها؛ ولذلك كانت الكتابة عن مجالات إعداد الدعاة من أهمِّ الموضوعات التي تحتاج إلى تدقيق وتحليل ودراسة بحثية.

أسباب اختيار الموضوع:

١- ضرورة الإعداد لكل ما يتعلق بالدعوة لا سيّما ركن الداعي القائم بعملية التبليغ عن الله - تعالى- وعن رسول - صلى الله عليه وسلم-.

٢- المساهمة في التقليل من الخلل الموجود والواضح في الطرح الدعوي عند بعض الدعاة ، وذلك بإعداد الدعاة إعداداً جيدًا في أهم المجالات التي لا يستغني عنها داعية في دعوته إلى الله.

٣- وجود كثير من الطاقات الدعوية المتميزة والتي ينقصها الإعداد الدعوي، إنْ في مجال واحد أو عدة مجالات من مجالات الإعداد الدعوي.

٤- قلة ما كتب على وجه التفصيل في مجالات إعداد الدعاة، وذلك على نحو ما سنبينه في الدراسات السابقة لموضوعنا هذا.

تساؤلات البحث:

١- ما معنى مجالات إعداد الدعاة ؟

٢- ما أهمية الإعداد عموماً وفي الدعوة إلى الله - تعالى- خصوصاً؟

٣- هل للإعداد النفسي أصلٌ في الكتاب والسنة ؟

٤- كيف يهيئ الداعية نفسه لتقبل عدم تحقيق أهدافه الدعوية؟ وكيف يتعامل مع ذلك؟

٥- كيف يُعدُّ الداعية إعداداً علمياً يؤهله للترقي في درجات الدعاة إلى الله ؟

٦- ما الفرق بين العلم العيني والكفائي بحق الدعاة؟

٧- ما أهم الأخلاق التي يجب إعداد الدعاة عليها؟

٨- هل هناك فرق بين أصول الأخلاق الدعوية وفروعها؟ وما الضابط في ذلك؟

٩- هل للجانب المالي أهمية في إعداد الدعاة إلى الله ؟

١٠- ما المصادر التي يمكن أن تدعم الدعاة إلى الله - تعالى-؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى هدف رئيس، وهو : إظهار أهمية إعداد الدعاة في كل مجالات الدعوة عموماً وفي المجال النفسي والعلمي والخلقي والمالي خصوصاً؛ إذ تعد هذه المجالات الأربعة من أهمِّ الدعائم التي لا يستغني عنها الدعاة في سبيل دعوتهم إلى الله - تعالى- .

كما يهدف إلى مجموعة أهداف فرعية نجملها في نقطتين :

١- حثِّ الدعاة إلى تطوير أنفسهم في هذه المجالات ، وكشف أوجه النقص في إعدادهم قبل خوضهم ذلك الميدان.

٢ – لفت نظر المهتمين بالدعوة من المنظرين والمسؤولين إلى أهمية الاهتمام بالإعداد للدعوة وتهيئة الدعاة إلى الله – تعالى–؛ إذ بهم تقوم الدعوة وتنتشر، ويحافظ على ميراث النبوة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

الدراسات السابقة:

اجتهدت كثيراً في قراءة ما كتبه العلماء والدعاة حول إعداد الدعاة إلى الله – تعالى–، وقد وجدت هذه الكتابات في مجملها لا تخرج عن واحدة من اثنتين :

الأولى : أوراق عمل كتبت في مؤتمرات علمية دعوية، أو مقالات نوعية في المواقع الإلكترونية ولا تعتبر كأبحاث أكاديمية يعتمد عليها، ومن ذلك:

١– الإعداد الشامل والمتوازن للدعاة، للدكتورة هند بنت مصطفى شريفي[١].

٢– كيفية إعداد الداعية، للدكتور أحمد أحمد غلوش[٢].

الثاني : كتب حملت عنوان إعداد الدعاة أو إعداد الداعية، وقد تعرضت هذه الكتب في مجملها لموضوعات تتصل بالدعوة، ومنها صفات الداعية، ولم تتطرق من قريب أو بعيد للمجالات التي ينبغي الاهتمام بها لإعداد الدعاة فيها، ومن أهمِّ ما كتب في هذا الموضوع :

١– كتاب " الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة"، لمحمد بن ناصر العبودي، طباعة رابطة العالم الإسلامي، عام ١٤٢١هـ ، وقد سلط هذا الكتاب الضوء على موضوع الدعاة الذين ابتعثتهم رابطة العالم الإسلامي إلى أنحاء العالم، وقسَّمهم إلى قسمين، ثم يبين أنهم لا يكفون لسعة الميدان الذي يبتعثون إليه، وبهذا يعرف الفرق بين ما جاء فيه وما سيعرض له بحثنا هذا.

٢– بحث " إعداد الدعاة تلبية لحاجة الواقع المعاصر"، دراسة تحليلية من ضوء القرآن والسنة، للدكتور عبد السلام اللوح والأستاذ محمد شبير، جامعة غزة، بحث

---

١ – على موقع الألوكة بتاريخ ١٣ / ٩/ ٢٠١٤م.

٢ – http://www.muslm.org/vb/showthread.php?٣٠٤٦٧٥

مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، في ٧ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ، وهو بدوره مخالف لما جاء في هذا البحث من وجهين :

الأول: هذا البحث محصور في المجالات التي يعدُّ الدعاة عليها، بينما بحث المؤتمر هذا يناقش الإعداد من ناحية ما يحتاجه الواقع المعاصر من استراتيجية في إعداد الدعاة، فهو أقرب للخطة العملية النظرية منه إلى الدراسة التحليلية.

الثاني: هذا البحث يناقش بالتحديد المجالات التي تؤثر في شخصية الداعية وكيفية تبليغ موضوع الدعوة تبليغاً صحيحاً بعد الإعداد الجيد، بينما بحث المؤتمر يناقش الاستراتيجية العملية التنفيذية التي تؤثر في تطوير عمل الدعاة .

٣- كتاب " إعداد الدعاة من خلال سورة فصلت"، لحمد بن ناصر العمار، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، عام ١٤٠٧هـ، وهذا الكتاب أصله رسالة تكميلية لدرجة الماجستير، وهو مكون من أربعة فصول، لم يتطرق فيه إلى موضوع إعداد الدعاة بشكل مباشر إلاَّ في الفصل الرابع تحت عنوان " سمات الداعية في السورة"، وذكر الصفات التي استنبطها من السورة والتي يجب أن يتمثلها الداعية في دعوته وهي الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتقوى، والاستقامة، والقيام بالدعوة، والاستعلاء والانتماء، ومقابلة السيئة بالحسنة، والصبر، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وهذا يختلف تماماً عن مجالات إعداد الدعاة التي اهتم بها هذا البحث.

منهج البحث:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي[١]؛ ولم يقتصر البحث على كونه تنظيراً خالياً من التفسير والنقد والاستنباط، وهو منهج متبع في الدرسات البحثية.

١ - وهو المنهج القائم على التفسير والنقد والاستنباط، والمراد بالتفسير : شرح موضوعات البحث بتحليل نصوصه وبيان مشتبهاته، والمراد بالنقد : رصد مواطن الخطأ والصواب في موضوع البحث، والمراد بالاستنباط: وضع نظرية أو قاعدة علمية وفق معايير معينة، انظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري،ص (٩٦)، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

طريقة البحث:

لقد التزمت -بعون الله وتوفيقه- في جمع معلومات هذا البحث وصياغته المنهج التالي:

١) قراءة كل ما له صلة بالموضوع مما وقع تحت يدي من كتب وبحوث حول إعداد الدعاة.

٢) التعريف ببعض الكلمات والمصطلحات التي تحتاج إلى إيضاح سواء في عنوان البحث، أو خلال الطرح الموضوعي والتفصيلي في ثناياه.

٣) عند ذكر الآيات القرآنية، فإني أكتفي بذكر اسم السورة ورقم الآية بعد الآية دون الرجوع إلى الحاشية، وهو منهج متبع في الرسائل العلمية.

٤) عند ذكر الحديث النبوي -على صاحبه الصلاة والسلام-فإني أكتفي بذكر الراوي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأحيل القارئ إلى الحاشية لبيان تخريج الحديث.

٥) إذا كان الحديث مذكورًا في الصحيحين، أو أحدهما، فإني أكتفي بهما لمكانتهما ومعلومية صحتهما، وأما إذا كان الحديث في غيرهما؛ فإني أجتهد في تخريجه، وذكر درجته من الصحة أو الضعف، على النحو الموجود عند أهل الاختصاص مع ذكر المراجع في هذا الصدد.

٦) الترجمة للأعلام الذين أذكرهم في الكتاب ما لم يتكرر ذكرهم، فإن تكرر ذكرهم فإني أكتفي بالترجمة الأولى، وإذا كان العَلم ممن لا يخفى على القارئ معرفته فلا أترجم له ككبار الصحابة -رضي الله عنهم- والمشهورين منهم، كما لا أترجم للمعاصرين من العلماء.

٧) التزمت بقواعد اللغة العربية، وعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

٨) كتابة الخاتمة وما تحتويه من نتائج وتوصيات.

٩) وضع المراجع مرتبة حسب أحرف المعجم.

١٠)وضع الفهارس بأنواعها في آخر البحث.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذه الدارسة ومنهج البحث فيها تقسيمها إلى فصلين، تسبقهما المقدمة ويلي ذلك الخاتمة وأهم النتائج، ثم ذكر أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، ثم الفهرس وذلك على النحو التالي:

المقدمة وقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه ، وعرض عام لخطة الدراسة ، وذكر الضوابط المنهجية التي سار عليها الباحث في كتابة البحث.

المبحث الأول: مجال الإعداد النفسي للدعاة إلى الله – تعالى–، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية التهيئة النفسية للدعاة.

المطلب الثاني: نفسية الداعية بين إبلاغ الدين وتحقيق الأهداف.

المطلب الثالث: الابتلاء في الدعوة سنة ولكنه لا يستجلب.

المبحث الثاني: مجال الإعداد العلمي للدعاة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية العلم للداعية.

المطلب الثاني: الداعية بين العلم العيني والعلم الكفائي.

المطلب الثالث: التدرج في العلم للدعاة إلى الله – تعالى–.

المبحث الثالث: مجال الإعداد الخلقي للدعاة ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصول الأخلاق للدعاة إلى الله – تعالى– .

المطلب الثاني: فروع الأخلاق للدعاة إلى الله – تعالى– .

المبحث الرابع: مجال الإعداد المالي للدعاة ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية المال في الدعوة إلى الله .

المطلب الثاني: أهمية التوثيق للمناشط الدعوية.

المطلب الثالث: أهل الباطل ودعمهم المالي لباطلهم " النصرانية أنموذجاً ".

المطلب الرابع: مصادر دعم الدعاة إلى الله – تعالى–.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع

تمهيد

١ – بيان مصطلحات موضوع البحث

معنى المجال :

لغةً : اسم ظرف يدل على موضع الجولان،وهو الحق، أو الميدان ، أو النطاق[١].

واصطلاحاً: هو النطاق الذي يدور حوله موضوع معيَّن، كما قَالَ قطري بن الفجاءة(٢) :

فصبراً فِي مجَال الْمَوْت صبراً ... فَمَا نيل الخلود بمستطاع[٣]

معنى الإعداد:

هو مصدر أَعَدَّ، بمعنى: جَعْل الشَّيء جاهِزًا ومَهيأً وحاضراً .

قال ابن فارس: ((الإعداد هو تهيئة الشيء))[٤].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (باب الجيم: ٤٨/١)، دار صادر، بيروت ، ١٤١٢هـ.

(٢) قطريّ بن الفُجَاءَة بن يزيد بن زياد المازني التميمي، كان خطيبا بليغا فصيحا وفارسا شجاعا شاعرا، كان حرباً على الحجاج بن يوسف، وقد قيل: إن اسمه جعونة وإن قولهم قطري ليس باسم له، ولكنه نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان، وهو اسم بلد كان منه، فنسب إليه، وقيل: إنه هو قصبة عمان، والقصبة هي كرسي الكورة. واسم أبيه مازن وإنما قيل له الفجاءة لأنه كان باليمن، فقدم على أهله فجاءة، فسمي به وبقي عليه، توفي عام ٧٨هـ ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان- ابن خلكان – (٤/ ٨٣) ، المحقق: إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٧٢ م –.

(٣)انظر: شرح ديوان الحماسة ليحيى بن علي التبريزي (٢٤/١)، الناشر: دار القلم – بيروت.

(٤) معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (٢٩/٤) الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

الداعية:

لغةً: الدعاة جمع داعٍ وداعية، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة[١]، وقال ابن فارس: ((وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك))[٢] ، وهو صريخ الخيل في الحروب[٣].

وهو لفظ عام يطلق على كلِّ من حمل فكرة ودعا إليها ونادى بها مطلقاً، سواء أكانت هذه الفكرة شراً أم خيراً، وسواء أحمد عليها من جهة الشرع أم ذم، أي: أن هذا اللفظ لا يخص دعاة الحق وحدهم، بل يشمل دعاة الحق والباطل –أيضاً– على هذه الفكرة شرعاً، أم يذم عليها من جهة الشرع[٤].

معنى الداعية اصطلاحاً: يوجد عدة تعبيرات للعلماء المعاصرين في تعريف "الداعية إلى الله" ، وهي في مجملها تبيّنُ أن الداعية إلى الله – تعالى– هو: المسلم المكلف شرعاً، الذي يقوم بتبليغ دين الله وجذب الآخرين إليه بأفضل الوسائل والأساليب[٥]، وهذا ما قرره ابن القيم– رحمه الله تعالى– بقوله : ((الدعاة المخصوصون بِه. أي: بالله – تعالى– الَّذين يدعونَ إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته))[٦] .

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن المنظور الإفريقي (١٤/ ٢٥٩) الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر: القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي (١٢٨٣/١)، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ط : ١٤٢٦ هـ.

(٤) بتصرف : إعداد الداعية للدكتور حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمار، ص(٤٥)، دار أشبيليا، المملكة السعودية ، ط١، ١٤١٩هـ.

(٥) انظر : هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، على محفوظ ص(١٧)، والمدخل إلى علم الدعوة إلى الله تعالى، ص (٤٠).

(٦) – مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (١٥٣/١) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١ – أهمية الإعداد في كلّ شيء لا سيما في العمل الإسلامي.

إنَّ هذا الزمن هو زمن الإعدادات والتخصصات في كلّ فنٍّ؛ حيث يعتبر من أهمّ الأشياء التي تضمن بها الأمم قوتها ومكانتها وبقاءها، والإنسان لا يقدر على الشيء عند الحاجة إليه إلا بالإعداد المتقدم عليه، وهو السبب الرئيس لتقدم الغرب في مجال التقنية والصناعة، والتخلف في الإعداد من أعظم أسباب الفشل، وهو من أسباب هزيمة الأفراد بل الأمم؛ ولذا فإنَّ الواجب على العالم الإسلامي اليوم، هو السعي الصادق الجاد في الإعداد بكل صوره، وألوانه، وأشكاله .

قال الله – تعالى–: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الأنفال: ٦٠

قال أبو المظفر السمعاني[١] –رحمه الله– : ((الإعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة))[٢].

لا شكَّ أنَّ تدريب الناس على حمل السلاح، ووجود الأسلحة في أيدي المسلمين أحد صور الإعداد، لكن هناك ألوان عديدة من الإعداد العقائدي الإيماني الذي يكون به النصر، وكذا الإعداد العلمي الشرعي لتربية المؤمن، والإعداد السلوكي، والإعداد الدعوي، وهذا يدخل في القوة التي أمر الله – تعالى– المؤمنين باتخاذها وإعدادها.

قال القرطبي[٣] –رحمه الله– : ((أمر الله– سبحانه– المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكَّد تقدمة التقوى؛ فإنَّ الله –سبحانه– لو شاء لهزمهم بالكلام والتَّفلِ في

---

(١) – أبو المظفّر منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي، شيخ الشافعية في زمنه، ولد سنة ٤٢٦ هـ ، هو وحيد عصره في وقته فضلاً وطريقةً وزهداً وورعاً، من بيت العلم والزهد، تفقه بأبيه، وصار من فحول أهل النظر، وكان شوكاً في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة، وكان مناظراً فقيهاً وقال حفيده في الأنساب: لا أقدر أن أصف بعض مناقبه، ومن طالع مصنفاته أدرك بعض صفاته وعرف محله من العلم، له كتاب " الاصطلام" و " القواطع"، توفي سنة ٤٨٩هـ ، انظر: ((طبقات الشافعية)): (٥/ ٣٣٥ – ٣٤٥) ، و((السير)): (١٩/ ١١٤/١١٩).

(٢) – تفسير لسمعاني، أبو المظفر منصور المروزي السمعاني، ت: ياسر غنيم (٢/ ٢٤٧)، دار الوطن، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٣) – هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، الأندلسي، المالكي،

وجوههم وبحفنة تراب، كما فعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، ولكنَّه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ))[1].

المبحث الأول

مجال الإعداد النفسي للداعية

المطلب الأول: أهمية التهيئة النفسية للداعية.

كلُّ إنسان له روحٌ وجسد، ولكلٍّ منهما حاجات ومتطلبات، وقد يقع الصراع والخلاف بين متطلبات كلٍّ منهما، وأحيانًا يعجز الإنسان عن الاعتدال والمواءمة بينهما، فتارة يميل إلى الإسراف في إشباع حاجاته البدنية وملذاته الحسية، غافلاً عن إشباع حاجاته الروحية، وتارة يكون بالعكس.

ومن المعلوم أنّ قضية الدعوة ومواجهة الناس ومحاربة تيار الفساد والإفساد، لا بدّ أن تكتنفه بعض العقبات؛ كالصراعات النفسية والهموم الأسرية والنقد البنَّاء والهدَّام، ونزغات الشيطان وجنوده، والالتفات لهموم أخرى، كالمنزل، والأمان الوظيفي وغيرها من هموم الدنيا التي هي من تلبيسات إبليس، وكل ذلك يساهم في إضعاف الحالة النفسية لذلك الداعي؛ إذ لا بد من التهيئة النفسية أمام تلك الصدمات؛ كي يكون أمام تلك الصعاب والعقبات ثابتاً، لا ضعف فيه ولا هوان ولا استسلام.

والناظر في كتاب الله – تعالى-، يجد أنَّ الله – تعالى- كان يُهيئ رسوله – صلى الله عليه وسلم- تهيئةً روحانيةً، مما يجعل نفسيته متقبلةً لجميع مخاطر الدعوة إلى الله – تعالى-، صامدةً أمام كلِّ التحديات التي مرَّ بها الأنبياء من قبله، والتي لم يمرُّوا بها.

إمام متبحر في العلم، سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، توفي ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ بصعيد مصر ودفن بها، انظر: طبقات المفسرين ص (٢٤٦)، والوافي بالوفيات (٨٧/٢).

(١) – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، (٨/ ٣٥)، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

اقرأ إن شئت قوله – تعالى– : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف: ٦

قال الطبري– رحمه الله–: ((فلعلك يا محمد قاتلٌ نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا تمردا منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجدا، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك ..... وهذه معاتبة من الله– عزّ ذكره– على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيما))[1].

إنَّ هذا العتاب من الله – تعالى– لنبيه – صلى الله عليه وسلم– على غضبه أو جزعه من عدم إيمان قومه في ابتداء الدعوة به، فيه من التهيئة النفسية ما أعانه– عليه الصلاة والسلام– على تحمُّل المشاق في سبيل الدعوة إلى الله – تعالى– فيما خلف هذا الحادث من مواقف لا يتحملها إلا من ربَّاه ربُّه فأحسن تربيته وتهيئته– عليه الصلاة والسلام–.

وأمثال هذه الآية كثير ، قال – تعالى– :﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء:٣]. وتأمَّل قوله– سبحانه– :﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِى ٱلۡعُمۡىَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة يونس:٤٣]. وانظر إلى خطاب الله – تعالى– لفؤاد ووجدان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في قوله– عز وجل– :﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [سورة القصص: ٥٦]. ويصبر الله – تعالى– نبيه بقوله– جل جلاله– : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا

(١) – جامع البيان في تأويل القرآن،محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، (١٧ / ٥٩٨)، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ .

سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

وقال- تقدست أسماؤه- :﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [سورة الأنعام:٣٤]. بل ويخاطب القرآن أنفس المؤمنين، لتتهيأ أنفسهم لهذه الرسالة، فيقول - تعالى- :﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران:١٣٩]. ويعالج ألم أرواحهم بما أصابهم من أذى في سبيل الله - تعالى- بقوله- جلَّ وعلا- :﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠].

وكذلك المتأمل في السنة النبوية يجد فيها الكثير من المواقف التي اهتمَّ فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بتهيئة الصحابة نفسياً ، ومن ذلك :

تهيئته لهم- عليه الصلاة والسلام- بفتح بلاد الشام وفارس واليمن رغم ما هم فيه من اجتماع أمم الكفر على قتالهم، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- أَنْ نَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِيهِ حَجَرٌ لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمِعْوَلُ فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم-، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- فَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَقَالَ: ((**"بسمِ اللهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ"** قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الْآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**» قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ**» وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ الْآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ**» وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ**» قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ،**

أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ))،[1]إنَّ هذا الفأل الذي يلقيه النبي – صلى الله عليه وسلم– في نفوس أصحابه في أحلك المواقف والظروف، ما هو إلاَّ إعدادٌ نفسيٌّ وتهيأةٌ روحيةٌ لما ينتظر هؤلاء الدعاة المجاهدين حوله من نصرٍ وتمكين يحتاج إلى صبرٍ وعزمٍ ورباطة جأشٍ، يقول الماوردي[2] –رحمه الله– : ((وأمَّا الفأل ففيه تقويةٌ للعزم وباعثٌ على الجدِّ ومعونةٌ على الظَّفر؛ فقد تفاءل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في غزواته وحروبه))[3].

- ومن ذلك أيضاً، تهيئته النفسية لمبعوثيه وسفرائه – صلى الله عليه وسلم– لما قد يواجهونه أو ما ينبغي أن يكونوا عليه في حال تمثيل الرسالة التي يحملون، فها هو يقول لمعاذ – رضي الله عنه– حين بعثه لليمن،كما روى ابن عباس– رضي الله عنهما–: ((**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ** ..))[4]، فكم تحمل هذه الجملة من تنبيهات نفسية لمعاذ – رضي الله عنه– ومنها :
  - إنَّك تقدم على قوم أهل كتاب فكن على علم بما هم عليه قبل أن تدعهم.
  - إنك تقدم على قوم أهل كتاب فلا تصادمهم.
  - إنك تقدم على قوم أهل كتاب فتلطف معهم .

---

(١) – أخرجه النسائي في الكبرى، ب (حفر الخندق)، برقم (٨٨٠٧)، وضعفه شعيب الأرناؤوط في المسند ، وأتيت به لشهرته ولأنه في باب السير، وما بعده يغني عنه في مسألتنا.

(٢) – علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي " أبو الحسن"، شيخ الشافعية في عهده، اتهم بالاعتزال، ودافع عنه السبكي في طبقات الشافعية، ولي القضاء في بلاد كثيرة، وكان أديبا، من تصانيفه " الحاوي الكبير" في فروع الفقه الشافعي، و " أدب الدين والدنيا"، و" الأحكام السلطانية"، سنة ٤٥٠ هـ عن عمر بلغ ٨٦ سنة. انظر: وفيات الأعيان (٢٨٢/٣)، وسير أعلام النبلاء (٦٤/١٨)، ومعجم المؤلفين (١٨٩/٧)، وطبقات الشافعية (٣٠٣/٣)، والبداية والنهاية (٨٠/١٢).

(٣) – أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي المشهور بالماوردي، (١/ ٣١٦)، دار الحياة، ط١، بيروت، ١٩٨٦م.

(٤) – أخرجه البخاري في صحيحه، ك (التوحيد)، ب (دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)، برقم (٧٣٧٢).

- إنك تقدم على قوم أهل كتاب فخاطبهم بأسلوب يليق بعلمهم ومعارفهم.
- إنك تقدم على قوم أهل كتاب فابدأ بالمشتركات لا بالمخالِفات.

ولك أن تتصور ما تحمله هذه الجملة من معانٍ عظيمةٍ كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يهيئ بها معاذاً – رضي الله عنه–حين بعثه لليمن.

- وتأمل قول أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه–: كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم– إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**» (١)، إنَّها توجيهات نبوية لأرواح الدعاة قبل عقولهم؛ لتكون روح الداعية مبنية على التفاؤل لا التشاؤم، منطلقة من التيسيير لا التعسير، الأصل عند هذه الروح الدعوية الائتلاف لا الاختلاف؛ فلا يمكن لداعية أن يبشِّر ونفسه التي بين جنبيه قد اختلطت باليأس كما يختلط الملح بالطعام، ولا يمكن لداعية أن ييسِّر على الناس وقد تأصلت نفسه على الشدَّة في الأمور كلها.

إنَّ مثل هذه التوجيهات من النبي – صلى الله عليه وسلم– فيها من مراعاة النفسيات، والتدرج بأرواح الدعاة في مدارج الدعوة ما ينبّه كلَّ داعيةٍ ومربٍّ على أهمية الإعداد النفسي الذي لا غنى لأي داعية عنه البتة.

المطلب الثاني : نفسية الداعية بين إبلاغ الدين وتحقيق الأهداف .

مما يجب أن يُهيَّأ له الداعية أن يُبيِّنَّ له أمران :

١–المهمة الأساسية المأمور بها .

٢–الأهداف المرجوة من دعوته إلى الله

فأمَّا المهمة الأساسية المأمور بها، فهي وجوب إبلاغ دين الله – تعالى–؛ فقد قال الله – تعالى–:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا

(١) – أخرجه مسلم، ك (الجهاد والسير)، ب(الأمر بالتيسيير وترك التنفير) برقم (١٧٣٢).

بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٦٧].

قال ابن كثير[١] –رحمه الله– : ((يقول – تعالى– مخاطباً عبده ورسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم– باسم الرسالة، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمَّ القيام)) [٢]، ومن المعلوم أن الأمر للنبي – صلى الله عليه وسلم– هو أمر لأمته ما لم يدل دليل على الخصوصية [٣]، وعليه فإنَّ المهمة الأساسية والواجبة على الدعاة هي إبلاغ دين الله – تعالى– للعباد.

وأمَّا الأهداف المرجوة، فهي ثمرات الدعوة إلى الله – تعالى–، سواءٌ كانت ثمرات دنيوية أو أخروية.

والداعية إلى الله – تعالى– مطالب بالأمر الأول– كما سبق – دون الثاني، فيجب عليه أن يعمل لدين الله، وأنَّ يبلغ عن الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم–، راجياً تحقيق الأهداف التي يرنو إليها، من هداية النَّاس للحق، وتحقيق مراد الله من الخلق، والأجر الذي يكون له في الآخرة بإذنه —سبحانه–.

ولا يصحُّ لداعية عالم بالدعوة ومنهجها أن يعلِّق نفسه بالأهداف التي يرجوها، أو التي قد رسمها في أولِّ طريق دعوته إلى الله – تعالى–؛ لأنَّه حينها سيكون مرتبطاً في دعوته بهذه الأهداف، متى تحققت عمل وبلَّغ ودعا، ومتى ما لم تتحقق، توقف أو فتر وتكاسل.

---

(١) – هو أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص شهاب الدين عمر، خطيب قريته، ابن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي، ولد في دمشق سنة ٧٠١ هـ وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة ٧٧٤ هـ، له مؤلفات عدة من أشهرها "تفسير القرآن العظيم" المعروف بتفسير القرآن العظيم – ابن كثير – . انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣٩٩/١) لابن حجر العسقلاني.

(٢) – نفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي سلامة، (٣/ ١٥٠)، دار طيبة، ط٢، الرياض، ١٤٢٠هـ .

(٣) – وهذا هو مذهب الحنفية وأكثر المالكية والحنابلة، وهو أشهر قولي الحنابلة، انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، د. عبدالكريم النملة، (١٣١٠/٣)، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ١٤٠٥هـ .

إنَّ من أعظم ما يجب أن تتهيأ له نفوس الدعاة إلى الله- عز وجل-، قول الله -تعالى-: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠]. وقوله- سبحانه- :﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة هود:١٢]. وقوله -جلَّ جلاله- :﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [سورة الغاشية:٢١].

وفي نفس الوقت، يُربِّي الداعية على قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : ((**عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد**)) [(١)] فهذه النصوص وما شاكلها تدلُّ على أن تحصيل الهدف والثمرة ليست منوطة بالداعية إلى الله، بل يجب عليه إبلاغ الدين للناس بلاغاً مبيناً واضحاً لا كتمان فيه، وإن كان يجب عليه أن يكون ساعياً لتحقيق أهدافه، غير متعلق بها .

المطلب الثالث : الابتلاء في الدعوة سنة، لكن لا يستجلب .

الابتلاء سنة من سنن الله في خلقه عامة، وفي الدعاة إلى الله خاصةً، قال الله -تعالى- :﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [سورة الإنسان:٢] ، وقد سئل رسول - صلى الله عليه وسلم-: ((**أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة**)) [(٢)].

---

(١)ـ رواه البخاري في صحيحه، ك (الطب)، ب (من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو)، برقم (٥٣٧٨)

(٢) رواه الترمذي: أبواب (الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ب (ما جاء في الصبر على البلاء)، برقم (٢٣٩٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وحامل الدعوة يعمل بعمل الأنبياء، وشأنه في الابتلاء كشأنهم- عليهم السلام-، فلا بدّ أن يُبتلى كما ابتلوا، ويمتحن كما امتحنوا، وهذا من أهمِّ ما يجب أن يُعدَّ عليه الدعاة إلى الله- عز وجل-.

فهذا إبراهيم- عليه السلام- مع والده في الأذى قد ابتلي، ومع ولده بالذبح قد امتحن، وقد ابتلي نوح- عليه السلام- بعناد زوجته، وبكفر ولده، وهذا لوط- عليه السلام- بأذى زوجته، ووبغي قومه، وهذا موسى عليه السلام قد ابتلي بتعنت قومه، وقصة أصحاب الأخدود مع ملكهم واضحة، وكذا أصحاب عيسى عليه السلام مع أعدائه، ورسولنا - صلى الله عليه وسلم- مع فقد خديجة وعمه، وهجرة أصحابه، وتعذيب الكفار لهم، وغير هذا مما يضيق المجال عن ذكره يجب أن يستحضره الداعية في سبيل دعوته، قال ابن القيم[1] -رحمه الله- : ((**سَأَلَ رجل الشَّافِعِي فَقال يَا أَبا عبد الله أَيما أفضل للرجل، أَن يمكَّن أَو يَبْتَلِي؟ فَقَالَ الشَّافعي: لَا يمكَّن حَتَّى يُبتلى، فَإِنَّ الله ابتلى نوحًا وَإِبراهِيم ومُوسَى وَعِيسَى ومحمدا- صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ- فَلَمَّا صَبَرُوا مكَّنهم، فَلَا يظنُّ أحدٌ أَنه يخلص من الْأَلَم الْبَتَّةَ، وَهَذَا أصل عَظِيم فَيَنْبَغِي للعاقل أَن يعرفهُ**))[2].

ومع ذلك فإنَّ من أهمِّ ما ينبغي أن يفطن إليه الداعية أنَّ الابتلاء لا يُستجلب، فقد صحَّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال عن أبي بصير- رضي الله عنه-:

(١) - هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ولد في السابع من = صفر سنة ٦٩١ هـ، كان إماماً في الفقه والسيرة والتفسير، له تآليف كثيرة، قال ابن كثير رحمه الله عنه: (برع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث)، وقد لازم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن مات، توفي ليلة الخميس ٢٣ من رجب سنة ٧٥١ هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٧/٢)، والبداية والنهاية (٢٣٤/١٤)، والدرر الكامنة (١٢١/٤)، والوافي في الوفيات (٢٧/٢).

(٢) - الفوائد ، ابن القيم الجوزية ، ص(٢٠٨)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٣٩٣هـ.

((**وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**))[١] ، فهذ النصُّ – لو كان معه أحد – فيه بيان من النبي – صلى الله عليه وسلم– أنَّ المؤمن مطالبٌ بدفع البلاءِ عن نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأوضح من ذلك النصُّ الصريح في عدم تمني لقاء العدو؛ حيث قال – صلى الله عليه وسلم– : ((**أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا**))[٢]، قال ابن الجوزي[٣]– رحمه الله تعالى– : ((لأنَّ متمني البلَاء لَا يدري كيف تكون حَاله))[٤].

ومنه أيضاً قول النبي – صلى الله عليه وسلم– : ((**سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ ، فإنّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بعد اليَقِين خَيْراً مِنَ الْعَافِيَةِ**)) [٥].

قال المناوي[٦] –رحمه الله– في قوله – صلى الله عليه وسلم– : "**سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ**": ((أي: واحذروا سؤال البلاء وإن كان البلاء نعمة))[١].

---

(١) – رواه البخاري في صحيحه، كتاب (الشروط) ، باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط)، برقم (٢٥٨١) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير)، باب(كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس)، برقم (٢٨٠٤).

(٣) – هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، أشتهر بالوعظ، وحفظ القرآن، ثم برع في علوم كثيرة منها الحديث والفقه،وكان كثير التصانيف، وله نحو ثلاث مائة مصنف، منها: "زاد المسير"، و"تلبيس إبليس"، توفي سنة ٥٩٧هـ، انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠ – ١٤٢)، والوافي بالوفيات (١٨/ ١٨٦ – ١٩٤)، والنجوم الزاهرة (٦/ ١٧٤)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩ – ٣٣١).

(٤) – كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، (٢/٢٢٠)، دار الوطن، ط١، الرياض.

(٥) – رواه الترمذي ، أبواب (تفسير القرآن)، باب (فضل التوبة والاستغفار وماذكر من رحمة الله لعباده)، برقم برقم (٣٥٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٦) – هو: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي الشافعي الصوفي، كان عالماً زاهداً عابدًا قانتاً لله، ولد سنة ٩٥٢هـ، له مشاركات في عدة علوم، اشتهر بلقب المحقق، ومن مؤلفاته "كنوز الحقائق" في الحديث، و"التيسير" في شرح الجامع الصغير، و"التوقيف على مهمات التعاريف"، توفي سنة

المبحث الثاني
مجال الإعداد العلمي للداعية إلى الله

المطلب الأول :أهمية العلم للداعية إلى الله

إنّ أعظم زادٍ يتزود به الداعية، وأقوى سلاحٍ يحمله- بعد تقوى الله- هو العلم والبصيرة في دعوته، كما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم- ومن تبعه، قال الله – تعالى-:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف:١٠٨].

فالبصيرة هي العلم بما يدعو إليه وما ينهى عنه [٢]، ولما كانت آثار العلم عظيمة النفع في حياة الداعية كان لزاماً على علماء الدعوة إعداد الدعاة علمياً؛ لما لذلك من آثارٍ في حقل دعوته إلى الله، وبيان ذلك من خلال ما يلي:

١- أثر العلم في بناء شخصية الداعية:

لا شكّ أن بناء الشخصية بناءً سليماً لا يكون إلا بالعلم الشرعي المستفاد من الكتاب والسنة؛ حيث إنه يصبغ شخصية الداعية بالصبغة الإسلامية الحقة، وبه يتحصن الداعية من الغزو الثقافي والفكري المتمثل في العقائد الضالة والمناهج الباطلة[٣]، كما يصبغه بصبغة التجرد للحق وعدم التعصب للنفس والرأي، قال يونس

١٠٣١هـ. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٥/ ٢٢٠- ٢٢١) ، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢/ ٤١٢- ٤١٦).

(١) – فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، (١٠٧/٤)، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ ، مصر .

(٢) – انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ، (٤/ ٣٦١)، دار الكتب العلمية، بيروت-ط، ١٤١٩ هـ.

(٣) – انظر: أثر العلم في الدعوة إلى الله لمرزوق بن سليم اليوبي،(ص:١٧٣ – ٢٠٩) ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٧هـ.

بن عبد الأعلى الصدفي[١]: ((ما رأيت أعقل من الشافعي[٢]، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة)) [٣]؛ وهكذا يؤثر العلم في شخصية العلماء والدعاة فيهذبها وينقيها من دسائسها.

٢- أثر العلم في صفات الداعية:

من أبرز صفات الداعية الإخلاص لله في الدعوة، والتضحية والصبر على جميع ألوان الأذى، والرحمة والرفق بالخلق، والعفو والصفح، وأولى الناس التزامًا بهذه الصفات الحميدة هو الداعية إلى الله – تعالى- الذي قد أُعدَّ إعداداً علمياً متميزاً ؛ فلا يُكذِّب فعلُه قولَه، ولا يخالف ظاهرُه باطنه، وهذا هو نهج أنبياء الله – تعالى- الذين قال أخوهم شعيب لقومه: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [سورة هود:٨٨]، والعلم يحصن الداعية من ادعاء ما لا يعلم ، والقول على الله بغير علم، وهذا من أهمِّ الصفات التي يجب على كل داعية أن يتحلَّى بها، وفيما يلي أسرد واقعة لعالمين جليلين يتجلى من خلالها كيف أن العلم قد أثر في صفاتهما تأثيراً واضحاً.

---

(١) – يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان، الإمام، شيخ الإسلام، أبو موسى الصدفي، المصري المقرئ الحافظ، أمه فليحة بنت أبان التجيبية، ولد سنة سبعين ومائة في ذي الحجة. قال يحيى بن حسان التنيسي: يونسكم هذا ركن من أركان الإسلام. توفي سنة (٢٦٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢٤٨-٢٤٩).

(٢) – الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، الشافعي، أحد أئمة المذاهب الأربعة المتبوعة، واليه ينتسب الشافعية، وكان عالما بالفقه والقراءات، والأصول والحديث واللغة والشعر، ومن مصنفاته: "الأم"، و " الرسالة"، و " اختلاف الحديث"، مات سنة ٢٠٤هـ، انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء ص (٧١)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم(١٠/ ١٣٤)، وتاريخ الإسلام(١٤/ ٣٠٤)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٧٤)، والوافي بالوفيات(٢/ ١٢١)، وطبقات الشافعية للسبكي(٢/ ٧١).

(٣) – تاريخ دمشق ، ابن عساكر، ت: عمرو العمروي، (٥١/٣٠٢)، دار الفكر للطباعة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

قال ابن كثير– رحمه الله– : ((وقد صنف الحافظ عبد الغني[1] هذا كتاباً فيه أوهام الحاكم[2]، فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرأه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره، ويرجع فيه إلى ما أصاب فيه من الرد عليه)) [3]، وقال الإمام عبدالغني عن ذلك : ((لما رددتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الحَاكِم (الأَوهَامَ الَّتِي فِي المدخلِ) بَعثَ إِلَيَّ يَشْكُرُنِي، وَيَدْعُو لِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ))[4].

٣– أثر العلم في نجاح دعوة الداعية:

إنَّ الإسلام متى ما عُرض عرضاً صحيحاً، فلن تصمد أمامه أي دعوة من الدعوات الباطلة والأفكار المضلة، فما أشد زيفها! ومن ثم يقبل الناس على اعتناقه، والتمسك به؛ لما يرون فيه من الحق، ولأنه دين الفطرة، بخلاف غيره، وهذا العرض لا يكون إلا من داعية موفق، هداه الله – تعالى– للعلم النافع المستقى من الكتاب والسنة، وكلَّما قلَّ نصيب الدعاة من هذا المعين العظيم قلَّ تأثيرهم في المدعوين؛ ولذلك كان من شروط الداعية أن يكون على علم وبصيرة فقال الله – تعالى–:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

---

(١) – عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان ، الإمام الحافظ الحجة النسابة ، محدث الديار المصرية ، أبو محمد الأزدي المصري ، صاحب كتاب " المؤتلف والمختلف، ولد في سنة ٣٣٢هـ ، وطلب العلم فكان من كبار الحفاظ ، قال البرقاني: ما رؤي في الحفظ بعد الدارقطني مثل عبدالغني، وقد كان لعبد الغني جنازة عظيمة تحدث بها الناس ، ونودي أمامها : هذا نافي الكذب عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم ، توفي في سابع صفر سنة ٤٠٩ هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٨).

(٢) – محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، يعرف بابن البيّع، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، له كتب كثيرة أشهرها: المستدرك على الصحيحين، أخذ عليه تساهله في تصحيح بعض الأحاديث الواهية، قال الشافعي رحمه الله : (الحاكم متساهل كما سبق بيانه مراراً)، وقال الذهبي: (يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك)، توفي ٤٠٥هـ،

انظر في ترجمته: لسان الميزان لابن حجر (٢٣٢/٥ – ٢٣٣)، وميزان الاعتدال (٦٠٨/٣)، ونصب الراية (٣٦٠/١).

(٣) – البداية والنهاية (٧/ ١٢).

(٤) – سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (١٧/ ٢٧٠)، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٨]، قال أبو حيان[١] : ((ومعنى بصيرة: حجة وبرهان متيقن، من قوله – تعالى– :﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٤]،[٢] يقول ابن القيم– رحمه الله– : ((قال ابن الأنباري[٣]: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله «إلى الله» ثم يبتدئ بقوله «على بصيرة أنا ومن اتبعني» فيكون الكلام على قوله جملتين، أخبر في أولاهما أنه يدعو إلى الله، وفي الثانية: بأنه مع أتباعه على بصيرة، والقولان متلازمان فلا يكون الرجل من أتباعه حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه ويكون على بصيرة ... وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها: فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكفي في شرف العلم: أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء))[٤].

(١) – هو محمد بن يوسف بن حيان، الإمام أبو حيان الأندلسي، ولد بمطقشاش – مدينة قريبة من غرناطة– سنة ٦٥٤ هـ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث، فهو لغوي مفسر محدث مؤرخ، روي أنه سمع النحو من أربعمائة شخص، تنقل في بلاد كثيرة إلى أن أقام بالقاهرة بعد أن كُفَّ بصره، من أهم مصنفاته(تفسير البحر المحيط)، توفي سنة ٧٤٥هـ.انظر : الدرر الكامنة لابن حجر(٧٠/٥) ،وشذرات الذهب (١٤٥/٦)، وبغية الوعاة للسيوطي(٢٨٠/١)، و طبقات السبكي(٣١/٦).

(٢) – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، (٣٢٩/٦)، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٣٢٠هـ

(٣) – هو محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر بن الأنباري، المولود سنة ٢٧١هـ ،قال الخطيب البغدادي: كان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، وصنَّف كتباً كثيرة في علوم القرآن، والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة، وكان من أحفظ الناس للُّغة وتفسير القرآن،و من أفراد الدهر في سعة الحفظ، يروي بأسانيده، ويُملي من حفظه، توفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر : تاريخ بغداد (١٨١/٣-١٨٦)،وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤)، وشذرات الذهب (٢/ ٣١٥).

(٤) – باختصار من تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (٣٣٢/١)، مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، ط١، يروت، ١٤١٠هـ .

٤ – أثر العلم في صحة منهج الداعية :

لا يمكن لأيّ طريقةٍ في الدعوة أن تكون صحيحة مثمرة، ما لم تكن مقتفية أثر العلم، سائرةً في ركابه، ومنهج النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يمكن أن يتمكن أيُّ داعية من تطبيقه ما لم يتعلمه، ويتمرَّس في فهمه وتطبيقه في واقع الحياة، وما تعددت المناهج الدعوية واختلفت إلاَّ بسبب اختلاف المشارب في فهم المنهج الدعوي الرباني المستقى من الكتاب والسنة، وقد صحَّ عن النبي – صلى الله عليه وسلم– في حديث عائشة – رضي الله عنها–أنه قال : ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**)) [(١)]، ولا شكَّ أنَّ الدعوة إلى الله – تعالى– من أخصِّ ما يدخل في قوله– عليه الصلاة والسلام–: "في أمرنا هذا"؛ فلا يجوز للعبد أن يحدث في طرقها وثوابتها ما ليس منها، ومن أعظم الجنايات في هذه المسألة جعل وسائل الدعوة وأساليبها التي هي أدوات أداء هذا المنهج منهجاً في ذاتها، وعلى إثر ذلك تولدت طرائق سمِّيت بالمناهج الدعوية؛ ممَّا أدى إلى تعدد المناهج والأحزاب والجماعات وهي في الأصل تشترك في منهجٍ واحد هو منهج النبي– صلى الله عليه وسلم–، ((إنَّ المنهج يتميزُ عن الأسلوب بأنَّ كلمة المنهج قد تستخدم لتعني وحدة قائمة بذاتها، لها سماتها الخاصة، ومهمّتها المحددة، وتأتيْ مرادفةً لكلمةِ "طريقة "، كما أنَّ الأسلوب قد يكون من مكونات المنهج وعناصرِه، ولكنَّ المنهج لا يكون من عناصرِ الأسلوب، وقد يستخدم للمنهج الواحد أكثر من أسلوب))[(٢)]، (كمَا أنَّ منهجَ الدعوة أعمّ وأشمل من الأساليب والوسائل، فما الأسلوب والوسيلة إلاَّ أداة تنفيذية من أدوات منهج الدعوة)[(٣)]، بالعلم يفهم الداعية منهج الصحابة والسلف الصالح، وبه يُفرَّق بين ما يسوغ فيه الاجتهاد وبين ما

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الصلح)، باب (إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود)، (١٨٤/٣) برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم، كتاب (الأقضية)، باب (نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور)، (٩٥٩/٢)، برقم (٢٥٥٠).

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبدالرحمن المغذوي، (٧٦/١)، دار الحضارة.

(٣) بتصرف من المرجع السابق، (٧٥/١: ٧٦).

هو ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان، وبه يُفرق بين ما اعتاده الناس وألفوه وبين ما يقرره الشرع ويُنزَّل عليه أحكام الله – تعالى–، وبه يُفرق الداعية بين المصطلحات الشرعية المنهجية وغيرها من مصطلحات الفِرق والطوائف والأحزاب السياسية أو المجتمعية وغيرها.

٥– أثر العلم في ثبات الداعية :

خير زادٍ يستعين به الداعية على الثبات — بعد عون الله تعالى– هو العلم النافع ؛ لأن العلم يرسِّخُ الإيمان في القلب، ويعطي صاحبه تصوراً صحيحاً لطبيعة طريق الدعوة، ذلك الطريق الملئ بالصعوبات والمعوقات التي تحتاج إلى فقه ودراية لتجاوزها، وهذا لا يكون إلا بالعلم المستمد من كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم– ، وليس أدل على هذا من قصة الإمام أحمد بن حنبل في محنته أمام القائلين بخلق القرآن، قال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه–: ((**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ)**)[1]، وهنا يتجلى أثر العلم والحكمة في ثبات هذا الإمام– رحمه الله– وهو يقول: ((لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعضُ أهل الحبس، فقال : لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلاَّ سوطان، ثمَّ لا تدري أين يقع الباقي .... قال الرواي : فكأنَّه سُرِّي عنه))[2].

المطلب الثاني : الداعية بين العلم العيني والعلم الكفائي:

مما ينبغي أن يوجه إليه الدعاة إلى الله – تعالى–، معرفة ما يجب عليهم تعلمه من العلم الشرعي؛ فتصديهم لنصح الناس وتعليمهم، يوجب عليهم تعلم ما لا يجب على الناس تعلُّمُه، وذلك مما يكون من باب فروض الكفايات في العلم، فما كان فرضاً

(١) – أخرجه أحمد في مسنده، برقم (١٥٥٥)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) – سير أعلام النبلاء، (١١/ ٢٤٠).

كفائياً على العامَّة، فإنّه يكون فرض عين على الداعية الذي تصدى لتعليم مسألة من مسائل هذا العلم أو توجيه الناس فيها .

قال الشافعي – رحمه الله تعالى– : ((العلم علمان : علم عامة، لا يسع بالغٌ غير مغلوب على عقله جهلُه، مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا، مما كلَّف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفُّوا عنه ما حرم عليهم منه، وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله، ومعلوم عند أهل الإسلام جميعًا، ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم، يحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم، وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع .

الوجه الثاني : ما ينوب العباد من فروع الفرائض، وما يخص به من الأحكام وغيرها، مما ليس فيه نص من كتاب أو سنة، وإن كانت في شيء منه سنة، فإنما هي من أخبار الخاصة، لا أخبار العامة، وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياساً، وهذه درجة من العلم ليس تبلغها العامة، ولم يكلفها كل الخاصة، ومن احتمل بلوغها من الخاصة فلا يسعهم كلهم كافة أن يعطلوها، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يحرج غيره ممن تركها) [(١)].

فما قاله الشافعي هو عام لكلّ مسلم، خاص لكلّ داعية؛ لأنه يجب على كلّ داعية أن يكون عالماً بالحكم الشرعي الذي يدعو إليه [(٢)].

(١) الرسالة للإمام الشافعي (٣٥٧/١)، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر،ط١ ، ١٣٥٨هـ.

(٢) انظر: زاد الداعية إلى الله ، لمحمد بن صالح العثيمين)، ص(١٢)، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ط١٤١٢،١ هـ

المطلب الثالث: التدرج في العلم للدعاة .

التدرج من سنن الله – تعالى– الكونية والشرعية، فأمَّا الدليل على كونه من السنن الكونية، فاقرأ إن شئت قوله – تعالى–:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

وقال– عز وجل–:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٢ – ١٥].

وأمَّا الدليل على كونه من السنة الشرعية، فاقرأ قوله– عز وجل– :﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [سورة الإسراء:١٠٦].

ولهذا، فإنَّ من فقه الداعية إلى الله – تعالى– أن يتدرج في تعلم العلوم الشرعية حتى يصل إلى درجة الاجتهاد في نوازل الدعوة المعاصرة، يقول ابن خلدون[١] –رحمه الله– : ((اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلاً قليلاً))[٢].

(١) – عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي الإشبتلي الأصل المعروف بابن خلدون ولي الدين أبو زيد ، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي حكيم، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ ، من مصنفاته (العبر) ، و(تاريخ ابن خلدون) ، و(لباب المحصل)، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ. انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١٤٥/٤، ١٤٩) ، وشذرات الذهب (٧٦/٧ – ٧٧) ، ومعجم المؤلفين(١٨٨/٥ – ١٨٩) .

(٢) – مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ت: خليل شحاته، ص (٥٣٣)، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ .

وقال ابن شهاب الزهري[1] -رحمه الله-: ((من رام العلم جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي))[2].

هذا، ويمكن أن يقسم منهج التأسيس العلمي للداعية —من وجهة نظرنا- إلى ثلاث مراحل، وذلك على النحو التالي:

١- المرحلة التأسيسية في العلم:

وذلك للمبتدأ في طلب العلم، وخاصة لمن يريد التخصص في الدعوة إلى الله -تعالى-، فيبدأ بقراءة القرآن كاملاً على يد مقرئ، ويحفظ من ثلاثة أجزاء إلى خمسة؛ ليتيسر له الإمامة بها ويستحضر بعض آيات الأحكام، ويهتم بدراسة وقراءة واستحضار ما يستطيع استحضاره في الفنون التالية:

١- التفسير: ويطالع فيه " تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي" أو على الأقل : " مدارك التنزيل لأبي البركات ألنسفي".

٢- التجويد: " فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، لصفوت محمود سالم" أو "بغية المستفيد في علم التجويد لابن بَلْبَان الحنبلي".

٣- العقيدة: وليقرأ جيدًا كتاب "القول المفيد شرح كتاب التوحيد" لابن عثيمين" و"الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب، و"لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي" .

٤- الحديث: ويهتم فيه بـ "الأربعون النووية حفظاً، ورياض الصالحين شرحاً و"عمدة الأحكام للمقدسي، استحضاراً إن لم يكن حفظاً .

٥- الآداب : ويدرس فيها "حلية طالب العلم لبكر بن عبد الله أبي زيد" .

٦- أصول الفقه: "الورقات لإمام الحرمين الجويني" .

٧- المصطلح: "البيقونية لمحمد بن فتوح البيقوني الدمشقي" .

---

(١) - محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، من التابعين، وهو أحد أكابر الحفاظ والفقهاء، من أهل المدينة، وكان يحفظ ألفين ومائتي حديث، مات سنة (١٢٤هـ).انظر في ترجمته: التاريخ الكبير(١/ ٢٢٠)، وتاريخ ابن أبي خيثمة(١/ ١٢٦)، وسير أعلام النبلاء(٥/ ٣٢٦).

(٢) - جامع بيان العلم وفضله، ص (١٣٨).

٨- النحو: ويدرس فيه "الآجرومية لابن آجُرُّوم، محمد بن محمد الصنهاجي" .

٩- السيرة: "الرحيق المختوم لمباركفوري".

١٠- الفقه: "الفقه الميسر"للمعاصرين، أو "العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي".

١١- الرقائق: ويطالع فيها "الكبائر للذهبي" و"مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي".

١٢- التاريخ: ويطالع فيه أيضًا سيرة ابن هشام ، ثم البداية والنهاية لابن كثير.

٢- المرحلة التخصصية في العلم للداعية:

وأعني بها، مرحلة التخصص في الدعوة، وهذه ينبغي له إتقان ثلاثة فنون دعوية يكاد يطبق عليها جميع المتخصصين في الدعوة إلى الله – تعالى-، وهذه الفنون الثلاثة هي:

أصول الدعوة:

وأعني بها المصادر التي يجب على الدعاة إتقانها واستحضارها في دعوتهم، سواء أكانت تلك المصادر أصلية مأخوذة من القرآن والسنة والإجماع والقياس، أم فرعية يحتاجها الدعاة في فروع المسائل الدعوية التي يدعون إليها ، كتلك الأدلة المختلف فيها، أو ضبط مقاصد الشريعة، أو القواعد الأصولية والفقهية.

إن هذه المصادر هي زاد الداعية في مرحلة التخصص الدعوي، وبها يعد متخصصاً وبضاعته مزجاة في هذه الأصول.

منهج الدعوة:

و قد عرفه كثير من العلماء بتعريفات عدة، واختلفوا في تحديد الأصل فيه، هل هو منهجٌ واحد أو عدة مناهج، وليس هذا محل بحثه، وإنما المراد تحديد ما يجب على الدعاة إتقانه في هذه المرحلة، وهي طريقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في

الدعوة، والثوابت التي لا يصح أن تتغير بتغير الزمان والمكان في الواقع الدعوي، كالوسطية والتيسير والتمسك بالكتاب والسنة وفق فهم الصحابة- رضي الله عنهم-، كما يجب على الدعاة مراعاة الوسائل والأساليب الشرعية التي تعتبر أداة أداء هذا المنهج .

فقه الدعوة إلى الله:

ويختص هذا الفن بفقه ثلاثة أمور دعوية وهي :

- فقه تكوين الدعاة إلى الله .
- فقه أحوال المدعوين .
- فقه الموضوعات الدعوية .

٣- المرحلة العالمية في العلم للداعية:

وهي المرحلة التي يصبح الداعية فيها عالمياً، بحيث يكون خطابه الدعوي خطاباً للناس كافة المسلمين منهم وغير المسلمين، وهذه مرحلة دقيقة، يحتاج فيها الداعية إلى تعلم أمور، منها:

- تعلم لغة المدعوين .
- معرفة دين المخالف أو مذهبه معرفةً متميزةٍ .
- التأدب بآداب الحوار والخطاب عموماً.
- الرد على الشُبَهِ بعلمٍ وحلمٍ .
- إظهار محاسن الإسلام.

المبحث الثالث
مجال الإعداد الخلقي للداعية

المطلب الأول : أصول أخلاق الدعاة إلى الله – تعالى–:

يقسِّم العلماء الأخلاق الإسلامية إلى عدة أقسام بعدة اعتبارات، فباعتبار اكتسابها تنقسم إلى أخلاق فطرية وأخرى مكتسبة، وباعتبار أنواعها تتنوع إلى أخلاق حميدة وسيئة، وباعتبار متعلَّقها تنقسم إلى أخلاق مع الله – تعالى–، وأخلاق مع الناس، وأخلاق مع النفس، وباعتبار علمها تنقسم إلى أخلاق نظرية – فلسفة الأخلاق –، وأخلاق تطبيقية – فن الأخلاق–[(١)]، وتنقسم باعتبار أصولها إلى أصول وفروع[(٢)].

وكل هذه الأقسام لا غنى للداعية عن معرفتها ودراستها، وإنَّما الذي يهمنا في دراستنا هذه أن نسلِّط الضوء على أصول الأخلاق الحميدة التي ينبغي إعداد الدعاة عليها وكذلك الفروع؛ ويصعب على الباحث أن يجد فرقًا دقيقًا بين أصول الأخلاق وفروعها؛ ولذا[(٣)] فقد اجتهدت في وضع ضابط يسير عليه الدعاة في هذا المجال لعله يقرِّب المقصود، ويبلغ بالداعية المرادَ والمنشود.

فأصول الأخلاق الحميدة هي : كل خلق حسن أمر الشارع به على وجه الوجوب أو الندب.

وفروع الأخلاق الحميدة هي: كل خلق حسن لم يرد به الشرع صراحةً وإنما دلَّ عليه العرف وتوافق مع قواعد وكليات الشريعة الإسلامية.

ومن أهمِّ ما يجب إعداد الدعاة عليه في أصول الأخلاق وتختص بالدعاة تحديداً :

١– الإخلاص لله – تعالى– في كل العمل لا سيما الدعوة إليه– جلَّ جلاله–

---

(١) – انظر : موسوعة الأخلاق ، خالد بن جمعة الخرَّاز، (١/ ٢٦)، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، ط١، الكويت، ١٤٣٠هـ .

(٢) – انظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، د. هبد الله بن ضف الله الرحيلي، ص(٨٠)، مطبعة سفير، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ.

(٣) – المرجع السابق.

وحقيقة الإخلاص: ألاَّ تطلبَ لعملِكَ شاهداً غيرَ اللهِ – تعالى– [1].

و هو روحُ الدينِ، ولُبّ العبادةِ، وأساسُ أيّ داعٍ إلى اللهِ،وهو وصيةُ اللهِ لسيدِ المرسلينَ، قالَ اللهُ – تعالى–:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة الزمر:٢].

والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ؛ إذ هو أساسُ الدينِ وقاعدتُهُ، وخلاصةُ دعوةِ أنبياءِ اللهِ – تعالى–، ولا يخفى على أي مسلمٍ فَقِهَ القرآنَ والسنَّةَ مكانةَ الإخلاص، غير أنَّ أولى الناس بمعرفةِ مكانتِهِ والعملِ به الذينَ ينشرونَ هذا الدين للعالمينَ، ويدعون الناس إلى خيري الدنيا والآخرة ولذا كانَ من فقهِ الدعوةِ أنْ يُعدَّ الدعاةُ على هذا الخلقِ منذْ أولِ وهلة يخطرُ ببالِ أحدِهم أنْ يدعوا إلى الله؛ حتى لا يشوب دعوتَهم حبُّ الشهرة والرئاسة في الدين، والتصدُّر للجمهور، وغير ذلك مما يفسد الإخلاص لله رب العالمين.

يقول العز بن عبد السلام– رحمه الله– : ((الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي))[2]، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية[3] –رحمه الله تعالى– : ((والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسّط عمل القلب، فإن القلب ملكٌ، والأعضاء جنوده، فإذا خبث خبثت جنوده؛ ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم–:

---

(١) التعريفات للجرجاني : ص(١٣)،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ط: الأولى ١٤٠٣هـ.

(٢) – قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد العز بن عبدالسلام، مراجعة : طه عبد الرؤوف، (١/ ١٤٦)، مكتبة الكليات الأزهرية،ط١، القاهرة، ١٤١٤هـ .

(٣) – هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية النميري الحرَّاني الأصل الدمشقي الحنبلي، قامع المبتدعين، وإمام المجتهدين في عصره، صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، ولد عام ٦٦١ هـ بحرَّان بالشام، تعلم العلم على أصوله وفروعه، حتى سمَّاه بشيخ الإسلام أكثر من سبع وثمانين من الأئمة الأعلام، اشتهر في علوم شتى، ومات معتقلاً ليلة الاثنين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ. انظر: الأعلام العلية للبزار ص(١٤)، والعقود الدرية لابن عبد الهادي ص (٢).

إنّ في الجسد مضغة... الحديث"))[1]، ولو تأمل الداعية قول الله – تعالى–:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، لعلم ما فيها من تربية ربانية لمن اقتدى بأنبياء الله – تعالى– أن لا يسأل الناس أجر دعوته ألبتة بأي صورة من صور الأجر الدنيوي، ويرجو بعمله ما عند الله – تعالى– والدار الآخرة، وما أجمل كلام ابن القيم رحمه الله في هذا الصدد وهو يتحدث عن درجات الاخلاص إذ قال ما ملخصه :

الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل عن العمل، والخلاص عن طلب العوض عن العمل، والنزول عن الرضى بالعمل .

فالأولى: ليشاهد منة الله – تعالى– وتوفيقه له على هذا العمل: قال – تعالى– :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة النور:٢١].

الثانية: ليعلم أنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوض .

الثالثة: مطالعته عيوبه وآفاته وتقصيره فيه .

الدرجة الثانية :

الخجل من العمل مع بذل المجهود، بحيث لا يرى العمل صالحا لله حتى مع بذل المجهود فيه، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:٦٠]. فالمؤمن جمع إحساناً في مخافة، وسوء ظن بنفسه .

(١) – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، (١١/ ٨١) .

الدرجة الثالثة :

إخلاص العمل بالخلاص من العمل، إلا بنور العلم، فيحكمه في العمل حتى لا يقع في البدعة[١].

٢- الحلم:

وحدُّه ضبطُ النفسِ والطبعِ عندَ هيجانِ الغضبِ[٢] ، وهذهِ الصفة العظيمة من صفاتِ المسلمِ مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالدعاةِ إلى اللهِ، فالداعيةُ الذي لا يكونُ حليماً قلَّما تؤثِّرُ دعوتُهُ فيمن يدعوهم؛ فالدعوة إلى اللهِ لا تقومُ بغيرِ رحمةٍ للجهَّالِ، وترفُّعٍ عن السبابِ والقتالِ، والتعقُّلِ في مواطنِ الحماسِ، والأناةِ في مواطنِ الشِّكاسِ، وهذا هو الحلمُ الذي ينبغي للدعاةِ أنْ يراعُوهُ في دعوتِهم إلى اللهِ – تعالى- ويتصفُوا بهِ، وهاهم أنبياءُ اللهِ – تعالى- الذينَ أمرنا أنْ نقتديَ بهم في كلِّ شيءٍ، وبخاصة دعوتِهم، نجدُ أنَّ مِن أبرزِ صفاتِهم التي ذكرت في القرآنِ صفةَ الحلمِ التي يحبُها اللهُ؛ فقد قال – تعالى- : ((كونوا ربانيين)) قال أهل العلم : ((حلماء علماء))[٣]، وصحَّ عن الحسن البصري[٤] -رحمه الله- عنه أنه قال قول الله – تعالى-: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [سورة الفرقان:٦٣].

---

(١) – انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، (٢/ ٩٦)، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤١٦هـ

(٢) مفردات الراغب، ص(١٢٩).

(٣) – تفسير عبد الرزاق ، عبد الرزاق الصنعاني، ت: د. محمود محمد عبده، (١/ ٤٠٠)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ

(٤) – هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار، الأنصاري مولاهم، قال ابن حجر عنه: (فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة) قال البزار (كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوا وخوطبوا بالبصرة) مات سنة ١١٠ هـ وقد قارب التسعين، أخرج له الجماعة. انظر: تقريب التهذيب ص(٢٣٦) برقم (١٢٣٧).

((علماء حلماء لا يجهلون))[١].

قال الماوردي- رحمه الله تعالى- : ((فالحلم أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد، وقد قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه-: " أول عوض الحليم عن حلمه أنَّ الناس أنصاره"))[٢].

٣- الرفق :

يقول ابن حجر [٣] -رحمه الله – الرفق : لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[٤].

ولا شكَّ أن لين القول في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدخل في مفهوم الرفق المأمور به، والأصل فيه الكتاب والسنة، قال – تعالى- مخاطبًا موسى وهارون مرشدًا إياهم في خطاب فرعون :﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه:٤٤]، فهذا خطاب صريح في بيان الحقّ، ولكنه رقيق لا يجد المبطل فيه إثارةً لنفسه المثقَلةِ بالباطل، فإذا كان الله قد أمر موسى- عليه السلام- بالقول اللين مع عصمته، فغيره أَوْلَى بالأخذ باللين والتلطُّف في الخطاب، فما المطالب باللين ليس بأفضل من موسى، وما المخاطب به بأخبث من فرعون، وفي السنة النبوية- على صاحبها الصلاة والسلام- أنه قال : ((**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ**

(١) – تفسير الطبري، (١٩/ ٢٩٥).

(٢) – ادب الدنيا والدين، (١/ ٢٥٢).

(٣) – هو خاتمة الحفَّاظ، وشيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المصري المولد والنشأة، المعروف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه، ولد في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ هـ، كان عالماً بالحديث والفقه والتفسير، وتولى القضاء عشرين سنة، وتولى خطابة الجامع الأزهر ثم جامع عمرو بن العاص ﷺ، له كتب كثيرة من أشهرها (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، توفي ليلة السبت ٢٨ ذي الحجة سنة ٨٥٢. انظر: طبقات الحفاظ ص (٥٤٧)، ورفع الأصر عن قضاة مصر (ص٧٣)، وشذرات الذهب (٢٧٠/٧)، والأعلام (١٧٩/١).

(٤) – فتح الباري ، ابن حجر ، (١٠/ ٤٤٩)، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٣٧٩هـ .

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))[1]، وقال – صلى الله عليه وسلم– : ((**إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله**))[2].

وقد قال الله – تعالى–: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]، والفظاظة جفاء الطبع بعكس الرفق، والمقصودون في الآية هم الصحابة –رضي الله عنهم – كما قال ابن عاشور –رحمه الله – في الضمير " لهم " الذي في الآية : ((ويشمل هذا الضمير جميع الذين حوله سواء من صدر منهم أمر يوم أحد وغيرهم))[3]، وللآية ثلاثة معانٍ في الإجمال :

- المعنى الأول : لولا رفقك لمنعهم الاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من صنيعهم في غزوة أحد[4].
- المعنى الثاني: لو كنت فظاً لنفرَكَ كثيرٌ ممن استجاب لك فهلكوا[5].
- المعنى الثالث: الضمير عائد على المنافقين والمعنى" لو كنت فظًّا لأعلنوا الكفر وتفرقوا عنك[6].

أيا ما كان معنى الآية ، فإن أهم ما يستفاد منها التنبيه إلى أهمية الرفق الذي يجب أن يُعدَّ عليه الدعاة إعداداً جادّاً.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب (البر والصلة والأدب)، باب (فضل الرفق)، برقم (٢٥٤٩).

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب (البر والصلة والآداب) ، باب (فضل الرفق) ، برقم (٢٥٩٤).

(٣) – التحرير والتنوير، (٤/ ١٤٤).

(٤) – انظر: تفسير القرطبي، (٤/ ٢٤٨).

(٥) – التحرير والتوير، (٤/ ١٤٤).

(٦) – المرجع السابق.

٤- التواضع:

وهو: إظهار التنزُّل عن المرتبة لمن يُرادُ تعظيمُهُ، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله[١]، وهو ضد التكبُّر؛ إذ إنَّه ثمرة المعرفة بالله وبالنفس؛ فيتواضع الإنسان الذي عرف ربه وعرف قدر نفسه، وإذا كان الجميع بحاجة إلى التواضع، فما أحوج الداعي إليه! فهو يخالِط الناس ويدعوهم إلى الحق، وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عاريًا منه، وهو من ركائز أخلاق الإسلام؟!

ولا شك أن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنَّهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبَّر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًّا وصدقًا، والناس ينفرون عن المتكبِّر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليهم من قوله شيء، بل قد يكون ذلك سببًا في كرههم للحق منه أو من غيره، فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيدًا، وليتق الله ربه ولا يكون سببًا لنفرة الناس من الدعوة إلى الله[٢].

ولينظر الداعية إلى وصف ابن عبَّاس لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- إذ يقول: ((**كانَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يَجلِسُ على الأرضِ، ويأكلُ على الأرضِ، ويَعتَقِلُ الشاةَ، وُيجيبُ دَعوةَ المملوكِ على خُبزِ الشَّعيرِ**))[٣]، ويصف جرير بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه- موقفاً نبوياً يسطِّر للدعاة معنى التواضع في مخاطبة المدعوّين فيقول : ((أُتِيَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم- بِرَجُلٍ تَرْعَدُ فَرَائِصُهُ قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي هَذِهِ**

(١) – فتح الباري ، (١١/ ٣٤١).

(٢) انظر: أصول الدعوة ، ص (٣٦٢).

(٣) – أخرجه الطبراني في الصغير، (٦٧/١٢)، برقم (١٢٤٩٤) وهو صحيح لغيره ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٩١٥)، والسلسلة الصحيحة برقم (٢١٢٥).

الْبَطْحَاءِ» قَالَ: ثُمَّ تَلَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [سورة ق:٤٥]. (١).

((إنَّ التواضع فضيلة بين رذيلتين، فإذا انحرف العبد عن التواضع إما أن يقع في الكبر والعلو، وإما أن يقع في ذل ومهانة وحقارة، قال – تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة المائدة:٥٤] ، وهنا لفتة جميلة؛ ذلك أنه لما كان الذلُّ منهم ذلَّ رحمةٍ وعطفٍ وشفقةٍ وإخباتٍ عدَّاه بالحرف "على" تضمنياً لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يُرد به ذلَّ الهوان الذي يكون صاحبه ذليلًا ، وإنما هو ذلُّ اللين والانقياد الذي يكون صاحبه كالجمل الذلول الذي إذا أنيخ على صخرة أجاب.

وقوله – تعالى–: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ هو من عزة والقوة والمنعة والغلبة، قال عطاء – رضي الله عنه– للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته، كما قال في الآية الأخرى:﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

المطلب الثاني : فروع الأخلاق للدعاة إلى الله – تعالى–

إذا كانت الأخلاق المنصوص عليها في الوحيين أصولاً يجب على الدعاة العمل بها والدعوة إليها عملياً قبل أن تكون تنظيراً وتدريساً، فإنَّ مراعاة عادات الناس وأعرافهم، والعمل بما يحببهم في دين الله – تعالى– مما لا يخالف شرعه، يعتبر من أهم الأخلاق التي ينبغي للدعاة مراعاتها وإعدادهم عليها، وهذا يحتاج إلى دُربة في ضبط النفس وتزكيتها؛ فمن ضبط نفسه، وزكَّاها، ووطَّنها على الخير والمعروف، انقادت له ، وأعانته على فعل الخيرات، والمنافسة في الطاعات، ومن أهمِّ فروع الأخلاق التي يُعدُّ عليها

(١) – أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب (التفسير)، باب (تفسير سورة ق)، (٢/٥٠٦) برقم (٣٧٣٣)، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الداعية إلى الله – تعالى–، والتي يندرج تحتها غيرها، ثلاثة أخلاق (القدوة الحسنة ، والهمةُ العالية، وتجنّب خوارم المروءة) .

١– تحقيق القدوة الحسنة للمدعوين:

تُعرَّف القدوة بأنها : ((السمات والخصال والأعمال التي تصدر عن آحاد الناس، وتكون من غيره موضع اقتداء ومحاكاة، ويمكن أن يقصد بالقدوة: الشخص نفسه باعتبار أنه هو القائم بعمل ما يُقتدى به، وأنّه مصدر ذلك.

فالقدوة تطلق على الفعل أو الشيء الذي يراد اقتباسه ومحاكاته وتقليدهُ والتشبه به، وتطلق أيضا على الشخص الذي يصدر عنه ذلك الفعل، أو ينبعث منه ذلك الشيء المراد اقتباسه والاهتداء به))[(١)].

لقد بعثَ اللهُ – تعالى– الرسلَ إلى أُممِهم؛ لتبليغِ دعوتِهِ قولاً وعملاً، فيرى المدعوونَ الدعوةَ متجسدة في الواحد منهم ، يأكلُ كما يأكلونَ، ويشربُ كما يشربونَ، فيتأثرونَ بهِ ويقتدونَ، ويعملونَ بعملِهِ وبخلقِهِ يتأسّونَ، ومن فقهِ الدعوةِ إلى اللهِ أنْ يُعدَّ الدعاةُ إلى اللهِ – تعالى– إعداداً خُلُقياً؛ حتى يكونُوا قدواتٍ بأفعالِهم قبلَ أقوالِهم؛ لأنهم هم أتباعُ الرسلِ، وحاملُو رسالة اللهِ بعدَ أنبيائه ، وكمَا أنَّ اللهَ – تعالى– جعلَ أنبياءَهُ قدواتٍ للعالمينَ فقالَ – تعالى–: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

فقد أثنى على مَن اقتدى بالصالحينَ، وأوصَى بالتأسِّي بأتباعِ المرسلينَ، فقالَ– عز وجل–:﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [سورة الممتحنة:٤].

وقد ذم الله أقوامًا تخالف أقوالهم أفعالهم ، فقال : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤، قال ابن كثير– رحمه الله– : ((والغرض أن الله – تعالى– ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على

(١) – القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله، أ.د.إسماعيل علي محمد، ص (٨)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ١٤٣٥هـ .

خطئهم في حقِّ أنفسهم؛ حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب- عليه السلام- : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ [سورة هود:٨٨]، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف))[(١)].

((ثمَّ إن هذا التوبيخ والتقريع، وإن كان خطاباً لبني إسرائيل، إلاَّ إنَّه عامٌّ من حيث المعنى لكل واعظ يأمر ولا يأتمر، ويزجر ولا ينزجر، ينادي الناس البِدارَ البِدارَ ، ويرضى لنفسه التخلف والبوار، ويدعو الخلق إلى الحقِّ، وينفُرُ عنه، ويطالب العوام بالحقائق ولا يُشم ريحُها منه، وهذا هو الذي يبدأ بعذابه قبل عبدة الأوثان، ويعظم ما يلقى لوفور تقصيره يومَ لا حاكم إلا الملك الديَّان))[(٢)].

وإنَّ التاريخَ يروي لنا أنَهُ لم يُسلَّ سيفٌ، ولم يقاتل جيشٌ في فتح إندونيسيا والفلبين والملايو، ومن جهة الغرب نيجيريا، والسنغال، وتنزانيا، والصومال، لقد تأثَّرَ الناسُ بتجَّارِ المسلمين الذين كانوا قدوات للناس في تمسكهم بدينهم، وأخلاقهم، وطيب تعاملاتِهم[(٣)].

(١) – تفسير القرآن العظيم، (١/ ٨٥).

(٢) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي، (١/ ٢٤٨)، دار إحاء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٠ م.

(٣) انظر : الرائد – دروس في التربية والدعوة –، مازن بن عبد الكريم الفريح، (١٧٨/٤).

قال إبراهيم النخعي [١] -رحمه الله- : ((إني لأكره القصص لثلاث آيات، قوله - تعالى-: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة: ٤٤ ، وقوله - تعالى-: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف: ٢، وقوله - تعالى-: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ هود: ٨٨))[٢].

٢- الهمةُ العالية.

لا شكَّ أن الهمّة العالية تعدُّ من أهمّ اللبنات الصالحة لبناء الدعوة ورفع صرحها عالياً خفَّاقاً، بل تكون نبراسًا تضيءُ الطريق وتسهِّل المسيرَ للسالكين، وتزيل العوائق والعقبات التي صارت حجر عثرة في طريق الدعاة؛ فجعلت بعضهم يقف، وبعضهم يتراجع، لكن ولله الحمد أن وُجد من الدعاة فئةٌ مستمرة على الطريق الصحيح يسيرون بخطاً ثابتة، وحجةٍ واضحة، جادِّين في المسير رغم العقبات، والصعوبات والعوائق، وهم أصحاب الهمة العالية الذين ينطبق عليهم قول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تزال طائفة ...**))[٣] .

وما أحوج الدعاة إلى الله في كل زمان إلى همة تنطح الثريَّا، وعزم له دوي يدكدك جبال الظلمات! حيث إنَّ الانهزامية ومركب النقص والخمول لا يعرف لأهل العزائم طريقاً، ولا لسبيل العاملين لدين الله - تعالى- مسلكاً وسبيلاً، فهذا نوح -عليه السلام- يُفني نحو الألف عام في الدعوة إلى الله - تعالى- دون كلل، وهذا موسى- عليه السلام- يذهب لمن حكم عليه بالإعدام ولم يخش القتل، وهذا عيسى- عليه

---

(١) - هو الإمام الحافظ فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، ويكنى: أبا عمران، من مذحج، وكان فقيها ثقة، وهو أحد الأئمة المشاهير، كان شديداً على المرجئة، توفي سنة ٩٦هـ ، انظر: الطبقات الكبرى (٢٧٠/٦)، والتاريخ الكبير(٣٣٣/١)، والسير (٥٢٠/٤).

(٢) - الجامع لأحكام القرآن ، (١/ ٢٥٠).

(٣) - ونصه ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم) برقم (٢٤٧).

السلام- يطاردونه ويكذبونه وهو صامدٌ بلا ملل، وهذا محمد – صلى الله عليه وسلم- ترتفع همته لهداية من في أصلاب الرجال فضلاً عن الأحياء المعاصرين له بأبي هو وأمي، إنها همة من عرفوا قدر الدعوة وفضلها، وقد قال- عليه الصلاة والسلام- في الحديث الذي يرويه أبو هريرة – رضي الله عنه-: ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**))[1].

(المراد بالقوة هنا: عزيمة النفس في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمةً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله – تعالى-، وأرغب في الصلاة والصوم وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظةعليها)[2].

يقول الله- عز وجل- :﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [سورة السجدة:٢٤].

((أي جعلناهُم أئمةً حين صبرُوا ، والمرادُ صبرُهم على مشاقِّ الطاعات ومقاسات الشَّدائدِ في نُصرةِ الدِّينِ))[3].

---

(١) – أخرجه مسلم، كتاب (القدر)، باب (الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله) (٤/ ٢٠٢٥) برقم (٢٦٦٤).

(٢) – بتصرف من شرح مسلم للنووي – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحاج – ، محيي الدين النووي ، (١٦/ ٢١٥)، دار إحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٣٩٢هـ .

(٣) – تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد المصطفى، (٧/ ٨٧)، دار إحياء التراث، ط١، بيروت.

٣- تجنب خوارم المروءة .

من الخطأ البين اعتقاد أن الإسلام يتم ويكتمل فقط باجتناب المحارم وفعل الواجبات؛ إذ هناك مستحباتٌ ومندوباتٌ ومكروهات لا يتم لدين إلا بها، بل هناك أمور قد تخرم المروءة لمن ارتكبها، فينقص قدر المرء المسلم بحسب ارتكابها، ولا يشترط فيها أن تكون محرمة، ولكنها مما يعاب على المرء فعلها، وهي التي يطلق عليها " خوارم المروءة " .

ولا تخفى مكانة المروءة على من له أدنى عقل، وخاصةً لمن تصدَّر للدعوة إلى الله، لكنَّها تختلف من زمان إلى زمان، ومن عصر إلى عصر، قال ابن الصلاح- رحمه الله- : ((أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً... سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة)[(١)]، وهذا وإن كان في رواية الحديث، إلا إنَّه يدخل فيه أيضاً من ينشر هذه الأحاديث ويعلمها للنَّاس.

قال الخطيب البغدادي[(٢)] -رحمه الله- :((عن علي - رضي الله عنه- قال : «إذا تعلَّمتم العلم فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك وباطل؛ فتمجه القلوب»، يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذُّل في المجالس بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب ، فأمَّا متصله، وفاحشه، وسخيفه، وما أوغر منه الصدور، وجلب الشر، فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة)) [(٣)].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، لتقي الدين المعروف بابن الصلاح، (١٠٤/١)، دار الفكر-سوريا، دار الفكر المعاصر. بيروت.

(٢) - هو أحمد بن علي بن أبي ثابت أبو بكر الإمام الحافظ المصنف المؤرخ. ولد سنة ٣٩٢هـ. وتوفي سنة ٤٦٣هـ. وقد ترك قرابة مائة مصنف.انظر: طبقات السبكي (٣٥/٤) ، ومعجم الأدباء لياقوت (١٨/٤) ، والبداية والنهاية (١٠١/١٢-١٠٢).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١٥٦/١)، مكتبة المعارف – الرياض.

فمما يجب توطين النفس عليه، وبخاصة الداعية، اجتناب كلِّ ما يعاب عُرفًا، مما يخرم المروءة، وينزل قدر المسلم في أعين غيره، والداعية في أعين المدعوين .

المبحث الرابع
مجال الإعداد المالي للداعية

المطلب الأول : أهمية المال في الدعوة إلى الله

ليست الدعوة كلمات تلقى أو خطبًا ومواعظ تسمع في المساجد فقط، بل تتجسد في رحلات، ولقاءات، ومجالس، وروابط، تحتاج في تسييرها وتدبيرها إلى قدرة مالية وحاجتها إليه كحاجة الزرع للماء الماء للزرع.

وقد جعل الله المال وسيلةً مهمة، ليس لإقامة مصالح العباد في دنياهم فحسب، بل حتى في دينهم؛ لأن بعض الواجبات الدينية لا تتم إلا بالمال، كالحج والجهاد، ومنها القيام بأمر الدعوة إلى الله على نطاقه الواسع، ولعل أهمية المال في الدعوة تكمن في جوانب متعددة، عُني بها القائمون على ذلك الأمر في كل مكان، من كل الجوانب: الدورات العلمية، والمحاضرات الدعوية، والأعمال الخيرية، والرحلات والمعسكرات التربوية، وتسيير البرامج، وتوفير الإمكانات اللازمة للدعوة، ومن حِكمة الله أنه جعل مسؤولية الدعوة مسئولية جماعية يقوم به كل أفراد المجتمع المسلم، كلٌّ بما يستطيع، فمنهم من يُساهم بالكلمة ، ومنهم من يُساهم بالمال ومنهم من يساهم بالجهد.

والمنافقون في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم– قد أدركوا أهمية المال ودوره في شراء الضمائر، وتغيير العقول والقلوب، ومحاولة صدِّ الناس عن الإسلام حتى قالوا: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [سورة المنافقون:٧].

فمن باب أولى أن يفقه المسلمون بصفة عامة، والمحبون لأعمال الخير بصفة خاصة ، أنَّ خير ما تُنفق فيه الأموال، الدعوة إلى الله – تعالى–، وهي تدخل تحت العلم الذي ينتفع به صاحبه بعد الموت، ولو أنَّ بعض أوقاف المسلمين كانت على رعاية الدعاة إلى الله وسدِّ حاجتهم وفاقتهم؛ ليتفرغوا للدعوة حين سُدَّ باب الحاجة للوظيفة وما

شابهها، ويُسِّرت لهم الوسائل لمناسبة لإبلاغ رسالتهم لكان ذلك من أعظم أسباب تحضُّر المجتمعات المسلمة دينياً ودنيوياً .

المطلب الثاني : أهمية التوثيق لمناشط الداعية لتقديمها للداعمين .

من عايش الدعوة، علم أن الأيام تتقلب بالداعية، وتتغاير عليه الليالي، وتختلف عليه الساعات، وتتعاقب عليه السنون، رضاً وغضباً، سروراً وحزناً، شبعاً وجوعاً، إقبالاً وإدبارً، منحة ومحنة، عطية وبلية، أَمَلاً وألماً؛ لذلك كان لزامًا عليه أن يوثِّق مناشطه الدعوية، ولا يعتبر ذلك من باب الافتخار ونشر العمل الصالح، وإنما من باب الحيطة والحذر من المتربصين من وجه، ومن وجه آخر، يستعين بها على قضاء حوائج الدعوة، ويقدمها للداعمين، والتجَّار الصالحين الذين يحرصون على البذل والعطاء، وجلُّ ما يحتاجون ثقةً متبادلة بينهم وبين الدعاة إلى الله – تعالى–، وأنَّ ما يقدمونه من مال إنما يصرف على مصلحة الدعوة، لا المصلحة الشخصية للدعاة إلى الله، وقد رأيت أنَّ أهمَّ ما يوثق به الداعية عمله ما يلي :

١– التصوير:

من المهمّ أن يأخذ الداعية تصاوير الأمكنة التي يقوم فيها بأنشطته الدعوية، في المساجد والمدارس، والجبال، والغابات، وغيرها، خاصةً ما يَمُنُّ الله به على الداعية من إظهار نتائج دعوته وثمرات جهده، حينها يتأكد عليه توثيق هذه الثمرات والنتائج، لا من باب التفاخر ، وإنما من باب تشجيع الداعمين على دعم مثل هذه أنشطة لوجه الله – تعالى–، أو حتى من باب الاحتياط الأمني الذي قد تطلبه بعض الجهات في بعض بلدان المسلمين، فيحصل لهم التزكية الأمنية التي تيسر لهم الحصول على الدعم المناسب للأنشطة الدعوية.

٢– استعمال التسجيل الصوتي :

وبه يظهر علم الداعية، ووسطيته، وعقله، مما يزيد من ثقة السامعين عموماً، وكل حريص على الدعم المادي للأمور الدعوية الخاصة والعامة.

٣- توثيق المحاضرات بالفيديو:

((والذي أقتنع به أنه لا بأس بأن ينقل الصوت الإسلامي عن طريق الفيديو بعد تأمل واستقراء، وقد سألت سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مباشرة بالهاتف، وأجاز فضيلته ذلك للمصلحة التي تكمن فيه))[1] .

٤- شهادة أهل العلم:

لا بدَّ للداعية أن يوثِّق دعوته بشهادة أهل العلم المشهورين المقبولين لدى العوام، وهو طريق مؤثر من عهد السلف رحمهم الله؛ حيث كانوا يأخذون الإجازات التي تتيح له رواية الحديث أو إقراء كتاب معين.

٥- استخراج شهادات موثَّقةٍ من المراجع الرسمية:

كلما كان توثيق عمل الداعية رسمياً من الدولة، أو المرجع الحكومي الذي يقام فيه هذا النشاط، كان ذلك سبباً لزيادة الثقة بما يقوم به من عمل وجهد، ويعد سببًا بإذن الله – تعالى- زيادة الدعم المادي والمعنوي، مما يزيد في قوة أنشطة هذا الداعية في حقل الدعوة.

المطلب الثالث : أهل الباطل ودعمهم لباطلهم " الكنيسة أنموذجاً "

- **الكنيسة ودعمها لمشاريع التنصير:**

حين يتأمل الداعية ما يقدمه أعداء الإسلام في سبيل نشر ضلالهم، والصد عن سبيل الله – تعالى-، ثم يقارنه بما يقدم في سبيل الدعوة إلى الله – تعالى- ونشر دين الله، يصاب بنوعٍ من الكآبة لا يذهبها ولا ينزعها إلا ما وقر في القلب من نصرة الله لهذا الدين العظيم .

يقول أحد المنصِّرين : ((إن المال يأتينا بقدر ما نطلب وأكثر مما نطلب، وذلك من مصادر ثلاثة: أمريكا، الحبشة، الفاتيكان، ولكن ينبغي أن يكون الاعتماد الأول في

(١) دروس للشيخ عائض القرني (٩٧/ ٢)، بترقيم الشاملة .

تخطيطنا الاقتصادي على مالنا الخاص الذي نجمعه من الداخل، وعلى التعاون على فعل الخير بين أفراد شعب الكنيسة، كذلك يجب الاهتمام أكثر بشراء الأرض، وتنفيذ نظام القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمعاونتهم على البناء)) [١].

في حملات التبشير في أفريقيا والتي تدخل تحت ستار المساعدات الإنسانية هناك ٥٠٠٠ طبيب، و٧٠٠٠ ممرض وممرضة، و٢٨٩ ملجأ للأيتام، و١٩٥ ملجأ للعجائز، و١٦٣ ملجأ للمكفوفين، و١٠٥٠ صيدلية توزع الأدوية مجاناً، و٨٠٠٠ مستشفى متكامل الخدمات، و١٧ ألف مركز طبي، و١٧١ كلية ومعهداً عالياً، و١٨ ألفاً و٥٧١ مدرسة ابتدائية، و١٠ آلاف مدرسة ثانوية، و٢٠٠٠ مدرسة مهنية[٢].

المطلب الرابع : مصادر دعم الدعاة .

من البدهي أنَّ الدعوة تحتاج إلى نفقات كثيرة لسد حاجاتها المختلفة، وتأتي هذه النفقات من موارد متعددة،من بيت المال، والأوقاف، والجمعيات الخيرية، ودعم التاجر المسلم.

١- بيت مال المسلمين:

يعدُّ بيت مال المسلمين من أهمِّ وأقوى مصادر دعم الدعاة حديثاً وقديماً؛ لأنه أعدّ لإعلاء كلمة الله ولقد كان عبر التاريخ رافدًا أساسيًا لدعم الدعاة والمجاهدين في سبيل الله – تعالى- [٣].

٢- الأوقاف:

على الحكومات الإسلامية أن تنسق جهودها في مجال الدعوة، فتعقد مؤتمراً لوزراء الأوقاف لغرض تنسيق تلك الجهود، ولعل هيئة المساجد العالمية مسئولة عن قيادة

(١) انظر:(قذائف الحق)، محمد الغزالي، (٧٢/١) الناشر: دار القلم، دمشق ط: الأولى، ١٤١١ هـ.

(٢) – انظر: التنصير في أفريقيا ، د. مانع بن حماد الجهني ، الجندي المسلم ، العدد ٩٩ ، ربيع الأول ١٤٢١هـ.

(٣) انظر: أصول الدعوة – بتصرف ، ص (٢٥٧).

الدعوة في الخارج، كما هو الحال في مجلس الكنائس العالمي، الذي يشرف على إرساليات المبشرين، ويجب أن تسند الدعاة سياسياً من قبل الحكومات الإسلامية، حتى لا يصبحوا معرضين لأخطار الطرد والاضطهاد[1]، ولا بدَّ للمسلمين إيجاد الأوقاف المخصصة للدعاة إلى الله، وقد مرَّ بنا أهمية الدعوة، وأهمية المال في الدعوة إلى الله، ولو نظرنا لسيرة الصحابة فستجدهم أنه ما مات منهم بالمدينة إلا عدد قليل، وكلهم توجهوا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً لبث الدعوة، ونشر الإسلام وتفقيه الناس، وقد تثاقل الناس اليوم القيام بأمر الدعوة، فلا بدَّ من التعاون بالتناوب بين المسلمين لسد هذه الأماكن وحاجاتها، فلو قامت مكاتب الأوقاف لشئون المساجد بالتعاون مع مكاتب الدعوة والإرشاد بالتخطيط والتنظيم لهذه الفكرة، وقام المحسنون أيضاً برصد المكافآت المالية لأولئك الشباب المحتسبين، لوجدنا ورأينا أثر هذا الأمر على تلك المناطق.

٣- الجمعيات الخيرية:

لقد برزَت في العالم الإسلامي كثيرٌ من الجمعيات الخيرية، وكان لها إسهامٌ كبير في ميدان العمل الخيري مما أحدث أثرًا واضحًا على مسيرة الدعوة الإسلامية، ولا ريب أن جُهود هذه الجمعيات المباركة كان عونًا للدعوة إلى الله في أداء مهمتها على أكمل الوجوه وأتمِّها.

٤- دعم التاجر المسلم:

يعد التاجر المسلم من أقدر الناس على الدعوة إلى الله بالمال؛ وذلك لما حباه الله من إمكانيات مالية لم تتوفر لغيره من الأفراد ومن ثم فإنه يعد مصدرًا ماليًا مهمًا للدعوة بما يكفل لها استمراريتها وأداء دورها.

(١) انظر: أهمية الدعوة: محمود شيت خطاب ،(٢٨/١)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

وما أكثر إسهامات السلف الصالح في هذا الإطار، ويكفي أن نضع بين يدي القارئ تلك النماذج المضيئة التي سخرت كل طاقاتها المالية في سبيل نشر الدعوة وخدمتها، وهي نماذج نسوقها على سبيل الذكر لا الحصر، ومنها:

أ- خديجة – رضي الله عنها– التي سخرت أموالها لخدمة الدعوة بعد بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم- .

ب- أبو بكر – رضي الله عنه- يقول فيه النبي – صلى الله عليه وسلم-: (**ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر**)[١].

ت- عثمان – رضي الله عنه- تاجر الصحابة في غزوة العسرة، جاءت تجارته من الشام بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، محملة بالسمن والدقيق، في زمن مجاعة، وكانت الأرض مثل الرماد، وسمي ذلك العام بعام الرمادة، فعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: ((جاء عثمان إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- بألف دينار، قال الحسن بن واقع: وكانت في كمه، حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي – صلى الله عليه وسلم- يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين))[٢].

(١) -أخرجه الترمذي في سننه، أبواب(المناقب)، رقم(٣٦٣١)، و صححَّه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، رقم(٥٦٦١).

(٢) -أخرجه الترمذي في سننه، أبواب(المناقب)، باب (ما جاء في مناقب عثمان)، رقم (٧٣٠١)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم (٦٠٧٣).

الخاتمة وأهم النتائج

بحمد الله ومنه وكرمه، تمَّ الانتهاء من هذا البحث الذي أرجو من الله – تعالى– أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره، وقد بينت خلاله المراد بالمجالات التي ينبغي إعداد الدعاة فيها، وركَّزت خلال بحثي على أربع مجالات مهمة: المجال النفسي، والمجال العلمي، والمجال الخلقي، والمجال المالي، وتطرقت في كل مبحث من المباحث إلى مسائل ومطالب مهمة تتعلق بهذه المجالات، وقد خرجت بنتائج عدَّة ، كان من أهمها ما يلي :

١– الداعية هو المسلم المكلف شرعاً، الذي يقوم بتبليغ دين الله وجذب الآخرين إليه بأفضل الوسائل والأساليب .

٢– للإعداد أهمية قصوى في كل فن وتخصص، والإعداد العقائدي والعلمي والدعوي من أعظم أسباب استجلاب النصر للأمة.

٣– الإعداد النفسي أمام معوقات الدعوة له أصل من الكتاب والسنة، بل إن الآيات في ذلك أكثر مما يتصوره غير المتخصص في الدعوة إلى الله – تعالى– .

٤– لا بد للداعية من أن يفرق بين المهمة الأساسية المأمور بها ، وهي تبليغ الدين، وبين الأهداف المرجوة التي لا يطالب بتحقيقها، وإنما يلزمه السعي إليها.

٥– الابتلاء سنة شرعية للدعاة ولكنه لا يُستجلب، والداعية مأمور بسؤال العافية، فإن ابتلي صبر وسأل الله الثبات.

٦– العلم له أثر مباشر على الدعاة، سواء على مستوى شخصية الداعية أو صفاته أو منهجه أو ثباته ونجاح دعوته.

٧– كل ما يدعو إليه الداعية يجب عليه تعلمه ومعرفة أحكامه.

٨– هناك مراحل علمية للدعاة يجب مراعاتها من قِبَل المبتدئ في الدعوة والمتخصص فيها، والداعية العالمي.

٩– الإعداد الخلقي من ركائز الإعداد الدعوي .

١٠- الخلق مع الله – تعالى- مبنيٌّ على ركيزتين : الإخلاص لله – تعالى-، ومتابعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

١١- التخلق مع النفس يقوم على أساسين: الهمة العالية ، وتجنب خوارم المروءة .

١٢- التخلق مع الناس سبب لاستجابتهم ومن أهم صفات الدعاة الخلقية مع المدعوين : القدوة الحسنة، والحلم، والتواضع، والرفق.

١٣- القدرة المالية في الدعوة من أهم أسباب استمراريتها.

١٤- توثيق المناشط الدعوية من أهم ما يسبب دعم الحكومات المادي، والجهات المانحة.

١٥- حين يوثق ما لأهل الباطل من دعم في باطلهم، يكون ذلك سبباً في تحريك المياه الراكدة عند أغنياء المسلمين في دعم الدعاة والدعوة.

١٦- من أهم مصادر الدعم المالي عند المسلمين: بيت مال المسلمين، والأوقاف، والجمعيات الخيرية، ودعم التاجر المسلم.

التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

١- اهتمام كليات الدعوة بإعداد الدعاة إعدادا نظرياً وعملياً لمواجهة الميدان الدعوي.

٢- إقامة معاهد خاصة لإعداد الدعاة إلى الله – تعالى- .

٣- زيادة اهتمام الدول الإسلامية بإعداد الدعاة ورعياتهم.

٤- عمل دورات متخصصة في الدعوة إلى الله – تعالى- تعالج جميع مجالات إعداد الدعاة إلى الله – تعالى-.

٥- تكفل كبار الدعاة بالمبتدئين في الدعوة تحت إشراف الجهات الداعمة والراعية للدعاة .

٦- عمل مستويات إعدادية للدعاة توضح تدرجهم في مستويات الدعوة، وتخصيص كل بحسب درجته الدعوية.

٧- الاهتمام بجوانب المجالات التي يعد فيها الدعوي على مستوى الفرد أو التخصصات الدعوية.

٨- عمل أوقاف خاصة لدعم الدعاة والدعوة.

٩- عمل مؤتمرات تخصصية في إعداد الدعاة إلى الله - تعالى-، ونشر البحوث العلمية في ذلك، والسعي لتطبيقها على أرض الواقع.

فهرس المصادر والمراجع

١. **أثر العلم في الدعوة إلى الله**، مرزوق بن سليم اليوبي،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٧هـ.

٢. **الأسس العلمية** . د عبد الرحيم بن محمد المغذوي ، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط، ١٤٢٩هـ.

٣. **أصول الدعوة**،عبد الكريم زيدان)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ.

٤. **إعداد الداعية** للدكتور حمد بن ناصر بن عبد الرحمان العمار،دار أشبيليا، المملكة السعودية، ط ١٤١٩هـ.

٥. **–التعريفات للجرجاني**،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،ط: الأولى ١٤٠٣هـ.

٦. **أهمية الدعوة**: محمود شيت خطاب: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة).

٧. **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين الزركشي، دار الكتب الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٨. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور التونسي : الدار التونسية للنشر، تونس،ط ١٩٨٤ هـ.

٩. **تفسير السمعاني** لابن أحمد المروزى السمعاني: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٠. **تفسير الطبري** لمحمد بن جرير الطبري،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان:ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ .

١١. **تفسير القرآن العظيم** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي .دار الكتب العلمية، بيروت- ط، ١٤١٩هـ.

١٢. **تفسير ألنسفي** أبي البركات، دار الكلم الطيب، بيروت،ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣. **جامع البيان** .محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة، ط:، ١٤٢٠هـ.

١٤. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** للخطيب البغدادي .مكتبة المعارف – الرياض.

١٥. **الحوثيون خطر على السعودية**،ياسر العجوري،الأردن،لجينيات).

١٦. **الرائد – دروس في التربية والدعوة –**، مازن بن عبد الكريم الفريح.

١٧. **الرسالة** للإمام الشافعي، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر،ط:١٣٥٨هـ.

١٨. **زاد الداعية إلى الله** لمحمد بن صالح العثيمين: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ط: ١٤١٢ هـ.

١٩. **زاد المعاد**، لابن القيم . مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.ط:، ١٤١٥هـ.

٢٠. **سلسلة الأحاديث الصحيحة** . أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٢١. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت،محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٢. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى، الترمذي، ت أحمد محمد شاكر،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٢٣. **شرح ديوان الحماسة** ليحيى بن علي التبريزي، الناشر: دار القلم – بيروت.

٢٤. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.

٢٥. **صحيح مسلم**.مسلم بن الحجاج النيسابوري،ت محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٦. **علم الدعوة إلى الله – تعالى– حقيقته وأهميته** لمحمد بن سعد بقنه الشهران.

٢٧. **غرائب القرآن** للنيسابوري، دار الكتب العلميه – بيروت،ط: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٢٨. **القاموس المحيط** لمجد الدين الفيروز آبادي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط : ١٤٢٦ هـ.

٢٩. **قذائف الحق** لمحمد الغزالي السقا:دار القلم،دمشق ط: الأولى، ١٤١١هـ.

٣٠. **قواعد الوسائل** لمصطفى بن كرامة مخدوم، دار أشبيليا، ط :الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣١. **الكليات** لأبي البقاء الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٢. **كمال الدين الإسلامي** لعبد الله بن جار الله، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية المملكة العربية السعودية ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٣. **كواشف زيوف** لعبد الرحمن الدمشقي: دار القلم، دمشق ط: الثانية، ١٤١٢ هـ.

٣٤. **لسان العرب**، جمال الدين ابن منظور الإفريقى: دار صادر – بيروت.ط: - ١٤١٤ هـ.

٣٥. **مجموع الفتاوى** لابن تيمية،الناشر: مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية:ط: ١٤١٦هـ.

٣٦. **مدارج السالكين** لابن القيم: دار الكتاب العربي – بيروت : ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ.

٣٧. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**،ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون: مؤسسة الرسالة، ط: ١٤٢١هـ.

٣٨. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي،: المكتبة العلمية – بيروت.

٣٩. **المعجم الوسيط**، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: دار الدعوة.

٤٠. **معجم مقاييس اللغة**: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٤١. **مفتاح دار السعادة** لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٢. **المفردات في غريب القرآن**، بالراغب الأصفهانى،ت:صفوان عدنان الداودي.

٤٣. **مقدمة ابن الصلاح** لتقي الدين المعروف بابن الصلاح،،الناشر: دار الفكر-سوريا، دار الفكر المعاصر. بيروت.

٤٤. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م.